

صحيفة دار العلوم

مجلة الأذن واللغة والتربية والاجتماع
العدد ١٢٤

كل ثلاثة أشهر

قررت وزارة المعارف ومجالس المديرية "صحيفة دار العلوم" في جميع مدارسها

رئيس التحرير

محمد علي مصطفى

المدير

أبو الفتح الفقي

المراسلات تكون باسم مساعد التحرير

محمد مهدي عيسى

نادي دار العلوم

١١٤ شارع عمار الربيع، القاهرة

الاشتراك السنوي

لغير الطلبة	٢٠ قرشا	في القطر المصري
للطلبة	١٢ د	
لمدرسي المدارس الأولية	١٢ د	
خارج القطر	٥ شلنات انجليزية	ثمان العدد
	٥ قروش	

إِنْ سَاحِئًا مَدَقِّقًا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ إِنْ مَمُوتٌ
اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَإِنْ نَحْيًا لَوَجَدَهَا مَمُوتٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ
وَنَحْيًا فِي دَائِرَةِ الْعُلُوفِ
الْأَنْثَى وَالْأُنْثَى الشَّيْءُ مَمُوتٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الافتتاح

بقلم

الأستاذ أبي الفتح الفقي

المفتش بالمعارف ومدير الصحيفة

وبعد فقد كان من نصيب أبناء دار العلوم أن يكونوا سدة العربية وحماتها ، وأولياء لغة الدين ورعاتها ، وقد ظلوا ثلاثا وستين سنة يؤدون رسالتهم على وجهها الأكمل : مبرهين على جدارتهم بالثقة التي وضعت فيهم ، وكفايتهم للأمانة التي حملوها . وليس إنتاجهم العلمي ، وأثرهم الأدبي ، في مختلف نواحي الحياة المصرية بحاجة إلى دليل .

على أنهم أرادوا في سنة ١٩٠٦ تعميما للفائدة أن تكون لهم صحيفة تنشر بحوثهم بين جميع طبقات الأمة ، فكانت . وكانت لسان صدق مبين . ثم عصفت بأبناء دار العلوم عواصف هوجاء ، اجتاحت فيما اجتاحت ناديم وصحيفتهم . فحضعوا لقضاء الله ، ولكن غير يائسين من المستقبل ، حتى كانت النهضة القومية في سنة ١٩١٩ التي عمت جميع مرافق البلاد ، فأخرجوا باتحادهم مع زملائهم وأصدقائهم خريجي المعلمين العليا « صحيفة المعلمين » . دامت هذه الصحيفة عدة سنوات ، وكانت خير

ما أخرج للأمة المصرية في بابها . ثم قضى عليها ما قضى على كثير من مظاهر النهضة المصرية .

كل هذه الحوادث لم تقف في عضدنا ، ولم تضعف من إيماننا ، ولم توهن من ارادتنا ، لعظيم تقديرنا لرسالتنا ، وقوة إيماننا بأن الله لن يضيع أجر من أحسن عملاً . لهذا فكرنا في تكوين « جماعة دار العلوم » فاجتمعت الجماعة العامة المؤقتة في ٢١ يونيو سنة ١٩٣٣ . ثم الجماعة العامة النهائية في ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٣ واختارت مجلس إدارتها الذي أصدر قراره بإخراج هذه الصحيفة ، وشرقى وطائفة من إخواني بالعمل على إخراجها . فليتنا الدعوة ، وهاهى ذى صحيفة دار العلوم نقدمها للقراء واثقين بمعاونتهم لنا على رفعها إلى المستوى اللائق بهم . نخرج هذه الصحيفة وثقتنا بدوام إصدارها تملأ صدورنا ، غير مكترئين لما عسى أن يقال عن الإخفاق في الماضي ، لأن الإخفاق ليس بعار . وإنما العار أن نرضى بالإخفاق . إن نهوض الجماعات ، بله الأهم ، أثر لصيحات تنبه الغافلين ، وتوقظ الخاملين . وصيحتنا اليوم وليدة إرادة قوية ، وعزيمة صادقة على تخليد صحيفتنا . لأننا نعمل مسترشدين بتجارب الماضي ، مستنيرين بنور الحاضر ، مزودين بأمل المستقبل . لانبغي من إصدارها تجارة ولا ربحاً ، ولا صيتاً ولا نفراً ، وإنما نبغي خدمة لغتنا التي هي مظهر قوميتنا ، ولسان ديننا .

ولا ننسى هنا خريجي دار العلوم من أبناء الأقطار العربية الشقيقة الذين أعدتهم لنشر الثقافة العربية في بلادهم نحييهم في ديارهم ، ونناشدهم

دارهم التي تربوا فيها ، أن يساهموا في صحيفتها وفي كل أعمال جماعتها . حتى تتوثق الروابط ، وتدعم الصلات .

إن هذا الروح الذي يبعث فينا الجد والنشاط ، ويهدينا ، أفرادا وجماعات ، إلى أقوم السبل في خدمة العلم ليس إلا فيضا من روح مولانا المعظم ، حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ، باعث النهضة ، ونصير العلم ، ومحبي ما عفا من ربوعه ، ومجدد ما درس من معامله ، الشامل يعطفه السامي خدامه الصادقين وطلابه المخلصين . نضرع إلى الله ، يقلوب ملؤها الإخلاص لذاته الكريمة ، أن يمد لنا في أسباب حياته الغالية . وأن يقيه لأمته سندا وذخرا مدى الأيام متمعا بولي عهده الأمير المحبوب ، زين الشباب أمير الصعيد .

وليس أجدر بنا في هذا المقام من أن نذكر بالغبطة والثناء ما أبداه حضرة صاحب المعالي الوزير الجليل حلي عيسى باشا وزير المعارف من جميل العطف وحسن الرعاية لجماعة دار العلوم خاصة وأبنائها عامة . وإن شكرنا على هذا لعظيم .

وليس لي بد الآن من الاختصار على هذه الكلمة تاركا الكلمة الفنية ومنهج الصحيفة لحضرة زميلي وصديق رئيس التحرير ؟

أبو الفتح الفقي
مدير الصحيفة

تقديم

بقلم

محمد علي مصطفى

أستاذ التربية بدار العلوم، ورئيس تحرير الصحيفة

بسم الله أقدم صحيفة دار العلوم لجمهور القارئ من رجال الأدب والعلم، والمشتغلين بتهديب الناشئين، وكل من له نصيب من الثقافة العامة وغرام بالمزيد من العلم. وأنا - حين أقدمها لهم - جد مغتبط بما أتاح الله لأبناء دار العلوم من اجتماع الكلمة، واتفاق الرأي، ووحدة الغرض، وصدق الجهاد، في سبيل الغاية النبيلة التي كان من حظهم في الحياة أن يعملوا لتحقيقها.

نعم: اجتمعت كلمة أبناء دار العلوم على الإخلاص لله، والملئك، والوطن؛ واتفق رأيهم على أن يتعاونوا في خدمة اللغة العربية منها، وقواعدها، وآدابها، وما اشتملت عليه من العلوم والمعارف، حتى تستنير العقول، وتتفتح الأذهان، وتتسع الآفاق الفكرية، وتسلم الألسنة من تلك الرطانة التي خالطتها، ومن اللحن الذي جرت عليه. وقد جعلوا من وسائلهم إلى بلوغ هذه الغاية تلك الصحيفة التي نعالج إصدارها؛ فستكون مجال أقلامهم، وترجمان أفكارهم، وستكون لسانهم الصادق، ورائدهم الأمين، وحجتهم الدامغة. تعبر عن مشاعرهم التي تجيش بها الصدور، وتصور آمالهم وما يرجون لبلادهم من الخير، وترى الناس سبيل الإصلاح، وترشدكم إلى طريق الواجب، مخلصه في كل ما تدعو إليه، لا ترى لإنسان على إنسان فضلا إلا بالعمل الصالح.

وستعنى الصحيفة بالنظريات الجديدة فى علوم التربية فتدرسها دراسة تمحيص ونقد ، حتى تفرق بين ما يصلح منها فى تربية أبنائنا وبناتنا وما لا يصلح ؛ فإن الناس قد فتنوا بمبتدعات الغرب ، وشغفوا بكل محدثاته - على الرغم مما قد تنطوى عليه من زيف - ونسوا أن لكل بلد ظروفه الاجتماعية ، وعادات متوارثة ، وعقائد دينية خضعوا لسلطانها قروناً متعاقبة وأوضاعاً جروا عليها حقاً من الدهر ، وطرائق فى التفكير وأساليب الحياة تميزهم عن سواهم . وليس هناك شك فى أن كل إصلاح لا يحسب لهذه العوامل وغيرها حساباً لا يمكن أن يصل بالإامة إلى ما تصبو إليه من غايات ، وما تتمناه من نجاح وسعادة فى الحاضر والمستقبل .

وستتسع صفحات المجلة لنشر نتائج التجارب التى وصل إليها المعلمون عامة والمشتغلون بفنون التربية خاصة فى أى نوع من أنواع التعليم وفى أية مشكلة من مشاكله كانت التجربة ، راجين من وراء ذلك أن نشخذهم العاملين ونشجعهم على أصالة رأى والافتتان فى أساليب التجريب حتى يكون لأخوانهم منهم قدوة صالحة ، وحافز للعمل الطيب .

ولقد جعلنا فى صحيفتنا باباً مستقلاً للبحوث الفلسفية ونظريات الأخلاق والاجتماع ؛ وغرضنا من ذلك أمران : أما أولهما فدراسة مظاهر الحياة فى مراتبها المختلفة ، وإدراك أن لكل لون منها أساساً فلسفياً ينشأ منه ، ويقوم على مقتضاه ، ثم محاولة التوفيق بين هذه المظاهر وردّها إلى أصل واحد ينظم العالم بأسره . وأما ثانيهما فالوقوف على تاريخ الحياة الفكرية ومعرفة ما بين النظريات الفلسفية من ارتباط وما امتازت به كل أمة من نواحي الفكر حتى يكون لنا من الماضى قبس نستضيء به فى حياتنا الحاضرة والمستقبلية .

وهناك أمر ثالث لا يحصى لنا عن البحث فيه ، ذلك هو تراث أسلافنا

سوكنوزهم العلية ، ومعرفة ما خلفوه من أفكار أضاءت للناس السبل حين عز الهادى وأعوز الدليل . ولسنا نقصد بذلك أن نشيد بذكرهم بحق وبغير حق ؛ فجن أولى الناس بأن تتبع الحق حيث وجدناه ، وأن نأخذ به متى بان لنا وجهه . ومعاذ الله أن يسلس قيادنا للهوى أو أن يكون للزغات على قلوبنا سلطان .

وإذ كانت دار العلوم مستقر العلم فى المشرق ، وموئل طلابه ، وحلقة اتصال بين الثقافات المختلفة لا فرق بين الشرقية منها والغربية ، فان من الطبيعى أن يكون فى صحيفتنا متسع لدراسة الآداب الأجنبية ، وتبع ما أخرج رجال الآداب فى الأقاليم المتباينة من شعر أو نثر ، ومعرفة مذاهبهم فيما ينبغى أن يتناول الآداب ، وفيما يجب أن تكون عليه طريقة العرض ، حتى يتأثر الآداب العربى بسواه ويأخذ شعراؤنا وكتابنا وقصاصنا عن زملائهم فى الأمم الأخرى ما قد يروونه لهم من حسنات . وبذلك يتصل الآداب العربى بالآداب الأجنبية ويصير أدبا عالميا .

ان صحيفة دار العلوم هى صحيفة المعلمين ، ولهذا رأينا أن يكون فيها مجال لأخبارهم وأخبار المعاهد التى يقومون بالتدريس فيها ، حتى يكون كل واحد على اتصال بأخوانه ، وعلى علم بما يبذلون من جهد فى سبيل تهذيب النفس وتثقيف العقول ، فيضاعف الهمم ، ويخلص فى العمل ، متأسيا بغيره ، ومنافسا له فى مجال الإصلاح والخير .

هذا ما قصدنا إليه ، وقد كنا فى غنى عن التصريح به اكتفاء بإضافة الصحيفة إلى دار العلوم ، لولا أن العادة جرت بأن يكون لكل صحيفة منهج واضح وبأن يكتب هذا المنهج فى صدر العدد الأول .

وهأنذا أقدم العدد الأول من الصحيفة فى غير ضجة ولا صخب ، والسكن فى هدوء واطمئنان وثقة ؛ مؤمنا بقول الله تعالى « فأما الزبد

فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » ومعتقداً أن أبناء دار العلوم الذين يعتزون بمعهدهم ويشرفون بالانتساب إليه ، يسارعون إلى معاونتنا بما لهم وأقلامهم حتى ترقى بصحيفتهم إلى المستوى الذي نرجوه لها . ولولا أن لنا فيهم ثقة واسعة وأملا عظيماً ما أقدمنا على عملنا الخطير ، ولا حاولنا القيام بهذا الأمر الجليل .

ولعل من أمارات التوفيق أن يكون وزير المعارف ذلك الرجل الجليل القدر ، العالى الهمة ، الساعى إلى نشر العلم ورفع مستواه ، صاحب المعالى محمد حلى عيسى باشا . فقد أظهر عطفه على معهدنا فى مناسبات كثيرة وشهد للتخرجين فيه بالإخلاص فى العمل ، واقتخر بما يؤدون للبلاد من جليل الخدمات ، وأشاد بذكرهم فى خطبة بليغة ألقاها على أساتذة دار العلوم وطلابها حين شرفهم بزيارته فى الثامن من مارس سنة ١٩٣٢ فاحتشد الطلاب لتحيته وخرجوا للقائه وانطلقت ألسنتهم بالثناء عليه وإنا نسوق الخطبة بنصها حتى يعرف أبناء دار العلوم رأى الوزير الجليل فيهم وفى مكانة معهدهم عنده فنشرح لذلك صدورهم ويشعروا بالغبطة تملأ جوانحهم فينشطوا للعمل ويضاعفوا الجهد .

قال حفظه الله

« أبناء الطلبة

لقد سمعت ما أنشده شعراؤكم . وألقاه خطباؤكم فسرني ما أوحاه الخيال للشعراء وأفاضته البلاغة على الخطباء . من روعة التصوير لعواطفكم الفياضة بآمال الشباب التي هي عدته في الحياة . وحبكم لمعهدكم الذي له عليكم فضل الثقيف والتهذيب . وإشادتكم بتاريخه الذي هو صفحة مجيدة من تاريخ النهضة الأدبية ببلادنا العزيزة . وإعرا بكم عن أصدق عواطف الولاء

والحبة لمعقد آمال البلاد . ومناط نخرها . جلالة ملكنا المعظم . ودعائكم لجلالته ولسمو ولي عهده المحبوب بالعرز وطول البقاء .

وإذا كان ما سمعته اليوم قد برهن على تقدير الطلاب للرعاية الملكية السامية التي يسديها جلالة الملك للعلم والمشتغلين به . ورغبته الصادقة في أن تزدهر النهضة الأدبية ويترد تقدمها في بلاده العريقة فإن هذا الشعر البليغ . والنثر المحكم . لدليل على أن دار العلوم لا تزال قائمة بمهمتها في خدمة الآداب واللغة على أحسن الوجوه وأكملها .

إن لمعهدكم هذا فضلاً على مصر لا ينساه أبناؤها . فبمجهود أعلامه ارتقت لغة البلاد . وأينعت آدابها . ولأبنائه الذين خدموا لغة القرآن بالتدريس والتأليف والنشر فضل على أبناء هذه الأمة على اختلاف منازلهم ومراتبهم فليس منهم من لا يحس أثر هذا الفضل على قلبه أو لسانه ومن لا يقدر أثر هذه الثقافة الأدبية النافعة التي تلقاها في المدارس على شيوخ دار العلوم .

ومما يذكر بالثناء على معهدكم أن لرجالته تقاليد معروفة هي بجانب وفائهم للعلم واللغة تحاييم بمكارم الأخلاق . وحسن السيرة . وحميد الصفات . وأنهم دائماً قدوة حسنة لتلاميذهم ومثل صالح لهم . فلعل هذه السمعة الطيبة تظل شعار هذا المعهد العتيق .

أيها الطلبة اذكروا دائماً رسالة المعلم في الحياة . تلك الرسالة التي ستضطلعون قريباً بأعبائها . وأنها رسالة روحية لا تؤدي إلا بالابلاخلاص في العمل مع الزود من العلم والتمسك بالفضيلة . وقدروا عملكم في تربية الناشئة قدره وارفعوه إلى مكان الاحترام اللائق ببناء الأجيال القادمة .

وغداً عند ما تنزلون إلى ميدان العمل ترون أن الحكومة قد أعدت لكم من وسائل هذا العمل العظيم . ورسمت لكم من حدوده . ووضعت

لكم من قواعده ما يمكنكم من أداء هذه الرسالة العلية . وناطت الباقي
بضمائركم وإخلاصكم لعملكم . وتقديركم لواجبكم .
اذكروا كل هذا واذكروا معه سمعة معهدكم ، وطيب أثره . تصل
اللغة العربية على يديكم إلى ما نرجوه لها من الازدهار ، والأخلاق الفاضلة
إلى ما تؤمله لها من التوطد والرسوخ في نفوس الأبناء فالآباء .
أما ما وجهتموه إلى من المدح والثناء فأشكركم عليه كل الشكر وأتمنى
لمعهدكم الذي له عندى تقدير خاص ولى برجاله وخريجيه ثقة كبرى اطراد
التقدم والفلاح . ولكم جميعا حسن المستقبل وعظيم النجاح فى ظل راعى
العلم وحامى الآداب والفنون صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر
حفظه الله .

هذا رأى معاليه نسجله مغتبطين بهذه الشهادة جرت على لسان
القاضى العادل والوزير العامل ، حريصين دائما على أن نكون محل الثقة
ومطمح الأَبصار ، والله يسدد خطانا ويهدينا سواء السبيل .

محمد على مصطفى
رئيس التحرير

اللغة والأدب

دار العلوم واللغة العربية

لحضرة الأستاذ علي الجارم

المفتش بوزارة المعارف

يا ابنة السابقين من قحطان وثراث الأجداد من عدنان
أنتِ علمتي البيان فمالي كلما لحت حار فيك ياني ؟
ربّ حسن يعوق عز وصف حسن وجمال يُنسي جمال المعاني
كنت أشدو بين الطيور بذكراك فتعلو ألحانها أُلحاني
وأصوغ الشعر الذي يقرع النجم وتُصغي لجرسه الشغريان
يا ابنة الضاد أنت سر من الحسن تجلي على بني الانسان
كنت في القفر جنة ظللتها حالات من النصوص دواني
لغة الفن أنت والسحر والشعر ونور الحجا ووحى الجنان
ربّ جيش من الحديد تولى واجف القلب من حديد اللسان
ويان بني لصاحبه الخلد مطلاً من قِمة الأزمان
وقصيد قد خف حتى عجبنا كيف نالته كفة الأوزان

بلغ العربُ بالبلاغة والاسلام أوجاً أعيا على كيوان
لبسوا شمسَ دولة الفرس تاجاً ومضوا في مغافر الرومان
وجروا ينشرون في الأرض هدياً من سنى العلم أو سنى القرآن

هذه صحيفة دار العلوم، وتلك صورة بجملة لما، تحويه، فلا غرابة بعد هذا أن قدرها الناس قدرها، وأنزلوها منزلة رفيعة، وتعلقت بها قلوبهم، وكثر طلبهم إياها في كل مكان، وتخطفتها الأيدي، حتى نفدت الآلاف التي طبعناها من أجزاءها، واضطررنا إلى أن نضاعف العدد الذي طبعه، إجابة لرغبة جمهور القارئ، وتلبية لنداء أهل العلم، ورجال الأدب وسواهم من المولعين بكل جديد، مما تنتج العقول الحصيفة الجبارة.

دخلت الصحيفة في عامها الثاني، وستظل حريصة على خطتها، مستمسكة بديدها، محافظة على المنهج الذي فصلناه في الجزء الأول من أجزاءها، أمانة على ما حملت، لا تحيد عن الحق قيد شعرة، فلا تجامل فيه أحداً، وإن علا مقامه، وعظم نفوذه.

وهأنذا أقدم هذا الجزء كما قدمت سواء في غير ضجة ولا صخب، ولكن في هدوء واطمئنان وثقة، مؤمناً بقول الله تعالى «فأما الزبد فذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال».

محمد علي مصطفى

ثم كانت عواقب الصبر أن ذلت له الشاردات بعد الحران
ملكته أعناقها في خضوع وحبته قيادها في ليلان
رب شعرة له يردده الدهر فتصغي مسامع الأكوان
يتمنى الربيع لو اتخذت منه حلاها ذوائب الأغصان
من بنات الخيال لو كان يُسقى لعدده من بنات الدنان
رودته القيان يكسبه حسناً فاربى على جمال القيان
قد أثار الغبار في وجه ميمون وعنى على قى ديان

شيخة الدار أتم خدم الفصحى وحراس ذلك البنيان
لبست جدة الصبا في ذراكم وغدت من حلاه في ريعان
غير أن الحياة تعدو ولا يدرك فيها طلابه المتوان
سابقوها بالدين والخلق السمع وصدق الوفاء للاخوان
سابقوها بالجد فالجد والمجد كما شئت العلا توأمان
ذلوا للشباب مستعصى الفصحى فان الرجاء في الشبان
واثروها قلائداً وعقوداً تتحدى قلائد العقيان

سم الدهر أن رآكم بناءً عبقرياً موطن الأركان
كم رجا الدهر أن يشاهد يوماً جمعكم سالماً من الشنان
فما الكف بالبنان ولا تجدى قليلاً كف بغير بنان
معتكم أواصر وصلات طهرت من دخائل الأضغان

فاسلكوا المهيع القويم وسيروا في شعاع المنى وظل الأمانى
 واشكروا للوزير بيض أيديه ومدار فضه الهتان
 يذل الخير فطرة ليس يثنيه عن الخير والصنيعة ثانی
 هو ذخر الطلاب كم وجدوا فيه أماناً من طارق الحدثان
 يبعث الغيث والرجاء لقاص ويمد اليمن برأ لدانى
 كم له منة على الضاد هزّت كل لفظ فيها الى الشكران
 سعد العلم واستعز بحلى وغدا دوحه قريب المجانى
 سار مسترشداً بهدى ملك ماله فى أصالة الرأى ثانی
 ملك تسعد البلاد بنما ه ويزهى بنوره القمران
 عاش للدين والمكارم والنبل وبث الحياة والعرفان
 وليعش للبلاد فاروق مصر قدوة الناهضين رمز الأمانى



الحلقة المفقودة

بإفهام

محمد مهدي علام

أستاذ التربية بدار العلوم

ممهّد

إن لهذه المقالة تاريخاً شائعاً يجمل أن تقدمه بين يديها : فنذ عام ونصف عام شاء صديقنا الفاضل الأستاذ أحمد أمين أستاذ اللغة العربية المساعد بالجامعة المصرية، أن يحيي رجال دار العلوم في أول عدد صدر من « الرسالة ». فكتب مقالة فيما سماه « الحلقة المفقودة » في علماء مصر ، وهم الذين جمعوا بين الثقافتين الإسلامية والأوربية. وقد شاء صديقنا الكاتب أن يختص أبناء دار العلوم بالنصيب الأول من سهام جعبته ؛ فكتب يومئذ رداً على تلك المقالة ، وعرضته على عدد كبير من الزملاء ، فأروا جميعاً — إلا واحداً — أن أنشر ذلك الرد في الصحف . ولكنني رأيت أن الأستاذ أحمد أمين أكرم علينا من أن تنازله على صفحات الجرائد التي لا يقتصر قراؤها على خاصة القوم ، وأنا أعز على أنفسنا كذلك من أن نجعل قضيتنا — إن كان ثمة قضية — مضغة في أفواه الناس جميعاً . وكنت إذ ذاك أعد كتاباً للطبع فأثرت أن أجعل ردي مقدمة لذلك الكتاب ؛ ووافقتني على رأي ذلك الصديق الذي خالف جميع الزملاء . وقد شاءت الظروف ألا يطبع ذلك الكتاب إلى الآن ، فبقى الرد مطويّاً . فلما قررت « جماعة دار العلوم » إخراج صحيفتها رأيت أن أنشر هذا الرد في أول عدد منها ، كما نشر صديقنا الأستاذ أحمد أمين هجومه في أول عدد من « الرسالة » .

يدعى صديقنا المفضل أن رجال « دار العلوم » لا يمثلون إلا الثقافة

الاسلامية وحدها ، وأنهم لا يزالون حيث كانت مصر قبل اتصالها بأوروبا : إذا أنتجوا فعيب إنتاجهم أنهم لم يستطيعوا أن يفهموا روح العصر ولا لغة العصر ولا أسلوب العصر ، وإنما التزموا التعبير القديم في الكتابة ، والنمط القديم في التأليف ، وتحجرت أمثلتهم ومل الناس بلاغتهم ، وعمادها رأيت أسداً في الحمام وعضت على العناب بالبرد وعشرة أمثلة من هذا الطراز . ومل الناس نحوهم ومداره ضرب زيد عمراً ورأيت زيدا حسناً وجهه . وسئم الناس منطقهم ، وكله الانسان حيوان وكل حيوان يموت فالانسان يموت وهذا حجر وكل حجر جماد فهذا جماد .

ويخيل إلى قارئ هذه المقالة أن كاتبها لا يعيش على أرض مصر ، ولا يتصل بعالم العلم والأدب فيها ، ولا بالثروة التأليفية التي نهضت في هذا العهد ؛ أو أنه يعرف كل ذلك ولكنه — لسبب ما — لا يريد أن يعترف به . والحق أني أنزه الأستاذ الفاضل عن كلتا التقيصتين ؛ ولكن عليه هو — لا على أنا — أن يبحث عن مخلص ثالث لما تورط فيه قلبه .

وأراني في غنى عن الإفاضة في الرد على مزاعم الأستاذ . وحسبي أن أذكر له ، على مجل ، عدة مؤلفات من أقلام رجال « دار العلوم » تفند دعواه التي ادعاها .

أفلم يأت به النحو الحديث وكيف يدرسه رجال « دار العلوم » ، وكيف يؤلفون فيه ؟ — وأنا عن عمد أذكر التدريس هنا ، لأنه عمل أساسي لرجال « دار العلوم » يقومون به في هدوء لا تصحبه جلبة ، وأمانة لا يشوبها الإعلان عن النفس ، ألا سامح الله من لا يزال يعتقد ، أو يريد أن يعتقد الناس ، أن معركة زيد وعمرو لا تزال قائمة في المدارس المصرية ! وهل اطلع السيد مثلاً على كتاب « النحو الواضح » لمؤلفيه

الناهين ، الأستاذين على الجارم ، ومصطفى أمين ؟ هل اطلع على اجزائه الستة للدارس الابتدائية والثانوية ، وكل جزء منها مفخرة من مفاخر التأليف ، يشرف مؤلفيه ، والمعهد الذي ينتميان إليه ؟ إن كان الأستاذ لم يطلع على هذا الكتاب فليسأل المدرسين في سوريا ، وفلسطين ، والعراق وبلاد المغرب ، فلعلهم أعرف بفضل هذا الكتاب منه .

وهل أتاه حديث « النحو المصور » ، نعم النحو المصور الذي يقف أمام العدسة ليخرج للتلاميذ ، بدلا من معركة زيد وعمرو التي ملكت على الأستاذ نفسه . صوراً فنانة للنحو وقواعده ؟ وأنا أرجو صديقنا الكريم أن يطلع على هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة ، ثم يتقدم بالشكر ، شكر العلماء المخاضين - للأستاذين الجليين ، زكي المهندس ، ومحمود السيد عبد اللطيف .

وهل سمع صديقنا العلامة بكتاب « البلاغة الواضحة » ، بجزئيه الكبيرين قبل أن يتجنى علينا بدعواه أن بلاغتنا قد وقعت عند رؤية الأسد في الحمام ، والعض بالبرد على العناب ؟ ألا بارك الله في أقلام مزجت بالأدب البلاغة ، وجعلت دراسة المعاني والبيان ، لذة للعقل والوجدان ! وليغفر الله للأستاذ جهله ، أو تجاهله ، بكتب المنطق التي أخرجناها للناطقين بالضاد ! وحسبي منها كتاب « علم المنطق الحديث » ، لصديقنا البحاثة الأستاذ محمد حسنين عبدالرازق ، أو كتاب « علم المنطق » ، لصديقنا الأملعي الأستاذ أحمد عبده خير الدين ، فهي صفحة فخار لخير الدين وندار العلوم ، فيه يلتقي أحدث ما كتب من منطقة الأوربيين بأعرق ما كتب من منطقة المسلمين .

وأنا أذكر هذه الكتب على سبيل التمثيل لا الإحصاء ، فإن أقنعت المتكرين ، وإلا فلدينا العدد الذي نباهي بتقديمه . وبديهي أنني اقتصرت

على العلوم الذى ذكرها صاحب « الحلقة المفقودة » المزعومة . ولعل من الفضول أن أذكره بما أخرجته عقولنا فى الشريعة الاسلامية بأقلام الأساتذة الأجلاء : محمد زيد ، واحمد ابو الفتح ، ومحمد سلامة ، واحمد إبراهيم . وحسن منصور ، ومصطفى عنانى ، وعبد الوهاب النجار ، وعبد الوهاب خير الدين وغيرهم . وفى التريية وعلم النفس والفلسفة بأقلام الأساتذة الأعلام : حسن توفيق العدل . ومحمد شريف سليم ، ومحمد عاطف بركات ، وعبد الرحمن زغلول ، وعبد العزيز جاويش ، وأبو الفتح الفقى ، واحمد عبده خير الدين ، ومصطفى أمين ، وعلى الجارم ومحمد حسنين عبد الرازق ، وشرف الدين خطاب ، وعلى العنانى ، وعبد الحميد حسن ، واحمد على عباس . وعبد الحميد خضر ، ومنصور سليمان ، ومحمد على مصطفى ، وصالح هاشم عطية ، وحامد عبد القادر ، وأبو العلاء عفيفى ، ومحمد عطية الابراشى ، وعلى عبد الواحد ، ومحمد مهدي علام .

ولأترك جانباً ما عدا ذلك من فروع العلوم المختلفة التى سجلنا فيها جهودنا ، لأنه يظهر أن الأستاذ لا يقض مضجعه إلا القواعد ، وقد أنبأته بحديثها الحديث .

وهل نسى الأستاذ أن الأزهر يوم أراد الاصلاح الجديد لم يجد أمامه إلا رجال دار العلوم يستنجد بهم ليقوموا بهذا العمل النبيل . فيكونوا رسل الثقافة الحديثه إلى المعهد العتيق : وهام أولاء عشرات الأساتذة منا يؤدون هذه الرسالة الشاقة فى ذلك المعهد الموقر .

بل هل نسى السيد أن كلية الآداب بالجامعة المصرية ، التى يعتز صاحب « الحلقة المفقودة » المزعومة بأستاذيته فيها ، لا يقوم عبء التدريس فى قسم اللغة العربية فيها والنهضة بها إلا على شيوخ دار العلوم ؟ فإذا

استثنى الأستاذ نفسه ، وزميلا فاضلا آخر ، لم يجد في الجامعة إلا إخواننا الفضلاء : ابراهيم مصطفى ، وطه احمد ابراهيم ، وعبد الوهاب حمودة ، وأحمد الشايب ، وعبد العزيز احمد ^(١) .

على أنني أشعر بميل ملح لأن أسر في أذن الأستاذ كلمة بيني وبينه : هي أن يحدثني عن الأساتذة الذين كان لهم فضل تثقيفه في مدرسة القضاء الشرعي وفي الجامعة المصرية القديمة : فهل يسمح له أدبه المعروف بأن ينكر ما تركه في نفسه من أثر كل من أساتذته : عاطف بركات ، ومحمد الحضري ، وعبد الحكيم بن محمد ، وحسن منصور ، ومحمد المهدي ، وحفني ناصف ، وغيرهم ؟

أولئك آباء ، فجئني يمثلهم ، إذا جمعنا يا جرير المجامع !
وبعد فأننا نستغفر الله للأستاذ ، ولنا ! نستغفره للأستاذ لما ارتكبه قلبه من الشطط ؛ ونستغفره لأنفسنا ، لأننا نخرنا بأنفسنا وبمعهدنا نخرأ ما كان لينطق به لساننا لولا أنه ساقنا إليه ، وحملنا عليه .

ولقد نكون في غنية عن كل هذا لاقناع الأستاذ احمد امين - فما نحسب أحداً غيره في حاجة إلى هذا الاقناع - ولكننا نطلب إليه في أدب ودعة ، ان يلقي بنظرة إلى اساتذة دار العلوم اليوم . فهم خمسة وثلاثون إخصائياً : منهم تسعة عشر ممن تثقفوا بالثقافة الاسلامية ، كما يعترف الأستاذ نفسه ؛ ومنهم ستة ممن تثقفوا بالثقافة الغربية وحدها ؛ ثم منهم عشرة من شيوخ دار العلوم الذين تلقوا العلم في إنجلترا ، وفرنسا ، وألمانيا

(١) ولقد تغيرت الحال منذ كتبنا هذه المقالة . ولكن بما يزيدنا تأييدا فقد انضم إلى هيئة التدريس في الجامعة المصرية من إخواننا الأستاذان محمد عطية الأبراشي ، وعلى حسنين ، بل إن الذي يحتل كبرى اللغة العربية في كلية الآداب الآن هو أستاذنا وصديقنا العلامة الشيخ أحمد الإسكندري .

أفلا يرى معي صديقي الفاضل أن هذه المجموعة من المدرسين تعز على كثير من المعاهد، وتكاد تصل إلى حد الترف العلمي؟ وأولا أنتي أريد أن انزه قلبي عن الطعن — ولو بحق — لقلت إنها لم تتح حتى الآن لقسم اللغة العربية بالجامعة المصرية (١).

أليس في هذا العدد من المدرسين، وفي هذه التشكيلة، الغنية مايقنع أخانا أحمد أمين بأن طلبة دار العلوم تثقفهم دار العلوم بالثقافين الإسلامية والغربية؟ وبأن من الجرأة على الحق أن يقال فيهم إنهم «جاهلون كل الجهل بما يجري في العصر الحديث من آراء ونظريات في العلم والأدب والفلسفة لا يسمعون بكانت وبرجسون، ولا بأدياء أوربا وشعرائها، ولا بعلمائها وأبحاثهم. اللهم إلا أسماء تذكر في المجالات والجرائد والكتب الخفيفة لا تغني قليلا ولا تستوجب علما؟

وإني أحمد الله أن أستطعت أن أوضح لصديقي العلامة أن الذي يتحدث إلى طلبة دار العلوم عن أوربا، وعلمها، وعلمائها، ليس الصحف والمجلات — مما يتعلم منه «هواة» العلم وأدعيائه وملتقطو فتاته؛ ولكن الذين يتحدثون إليهم بذلك كله هم الأساتذة الإخصائيون الذين نهلوا وعلموا من أعظم جامعات العالم، جامعات إنجلترا، وفرنسا، وألمانيا. على أنني أريد أن أجاري الأستاذ، جدلا، في أن طلبة دار العلوم — أو على الأصح خريجها — لا يمثلون الحلقة المفقودة الموهومة. فهل لي أن أطمع في إنصافه بالاعتراف بأن من خريجي دار العلوم عشرات

(١) لقد تغيرت الحال كذلك منذ كتبنا مقالنا هذه ولكن بما يزيدنا تأييدا: فأساتذة دار العلوم اليوم سبعة وثلاثون إخصائيا: منهم عشرون من رجال الثقافة العربية الإسلامية، وسبعة من زملائنا الفضلاء خريجي المعلمين العليا وجامعات إنجلترا، وعشرة من شيوخ دار العلوم المثقفين في جامعات إنجلترا وفرنسا وألمانيا.

قد تمهوا دراستهم العالية في جامعات إنجلترا ، وفرنسا ، وألمانيا ؛ وأن من الاسراف في الطعن والتجريح أن يدعى مدع أنه حتى هؤلاء لا يمثلون ما يسميه الأستاذ « الحلقة المفقودة » . في أمة أنا وهو نعلم عدد المتعلمين فيها ؟

وثمة غلط آخر قد وقع فيه صديقنا النابه . وأرجح الظن أن الذي أوقعه فيه هو خطؤه الأول في الحكم علينا — لأسباب نخوض أنفسنا على اعتقاد أننا نجعلها — ذلك أنه ادعى أن « إخواننا الهنود أسبق منا إلى إيجاد هذه الحلقة والارتفاع بها . » ثم اخذ يعدد لهم المفاهيم التي يسرنا أنه يصف بها شعبا شرقيا صديقا ، أكثر مما يسره أنها محاولة مخفية لتأييد رأيه . فانه ما فرغ من إطراره إخواننا الهنود على إيجاد الحلقة المفقودة ، عندهم ، حتى سطر بقلبه ما ينقض كل ذلك ، ويهدم كل ادعاء بأن حلقة مفقودة قد وجدت في الهند . وليستمع إليه القارئ حين يقول : « ولكن الهنود يعرضون وأسفاه ذلك باللغة الانجليزية ، مرحى ، مرحى ! فهل يرى الأستاذ أن تأليف الهنود في الشريعة والتاريخ الاسلامي باللغة الانجليزية يصل السلسلة المقطوعة بحلقة ، أو يقيم على الهوة السحيفة بين الشرق والغرب قطرة ؟ وهل يُسر الأستاذ ويقنع إذا هو وجد في المصريين من يؤلف بالانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية ؟ وهل يعد ذلك إيجادا للحلقة المفقودة ؟ وهل يرى في هذا الضرب من التأليف فرقا بينه وبين كتابات المستشرقين من أمثال برون ، ونيكلسن ، وجيب ، وديرمنجهم ، وديثيريصى ، وفلوجل وأضرابهم ؟

إن الحلقة المفقودة لا تتحقق في أمة من الأمم إلا بما اشترطه الأستاذ أحمد أمين نفسه ، في مستهل مقالته ، من أن يكون التأليف بلغة الأمة ، وبلغتها العصرية : « لا أمل في إصلاح هذه الحال إلا بالعمل على

إيجاد الحلقة المفقودة وهي تذوق الثقافتين ، والاعتراف من المهلين ، وإخراج أدب وعلم وفلسفة غذيت بما للعرب والإسلام من ثقافة ولقحت بما للأوربيين من ثقافة ومنهج . فيها اللغة العربية قوية رصينة ، وروح الإسلام قوية متينة . وفيها ما للأوربيين من عرض للمسائل جذاب ، رأيت يا صديقي أنك تكيل ، في المقالة الواحدة بمكيالين ، فتعد اللغة الوطنية أساساً في الحلقة المفقودة المصرية . ولا تقيم لها وزناً في الحلقة المفقودة الهندية ؟

وبعد فإني أعتذر للقراء إن كنت قد أطلت ، وأحتكم إليهم فيما سطرت : وأسأل الله تعالى التوفيق لصديقي ولى في كل ما تخط أقدامنا .

محمد مهدي عزم

٢٠ رمضان سنة ١٣٥١

أستاذ التربية بدار العلوم

١٧ يناير سنة ١٩٣٣

تزييل :

يأبى الحق إلا أن يعلن عن نفسه حتى على السنة جاحديه ، فقد تأخر طبع هذا الكتاب بضعة أسابيع لأمر قاهرة : فاذا بالأستاذ أحمد أمين يخرج علينا في العدد الخامس من « الرسالة » باعتراف صريح يلغى به كل ما كان قد تبجنى به على رجال دار العلوم في العدد الأول . ولعل الأفضل أن أترك عبارته تتحدث عن نفسها . قال الأستاذ الفاضل يأسف على أن تراثنا الأدبي ، العربي والإسلامي ، لا يجد من يعنى به إلا قليلا من الناس ، وأن نشأنا معرض عنه : « فلما نشأ الجيل الجديد وقد تعلم أول أمره في رياض الأطفال ، وأسلمته هذه إلى مدارس ابتدائية وثانوية يجتهد مدرسوها أن يعلموا على أحدث طرق اليدا جوجيا ، ويقرأ تلاميذها في كتب ألقت على غرار الكتب الأوربية في الشكل والموضوع أصبح

الخريجون لا يربطون جديدهم بقديم آباؤهم، وصارت الكتب الأوربية أشهى إلى نفوسهم وأقرب إلى عقولهم من كتب الأدب العربى والفلسفة الإسلامية.

لقد صدق رأى فى صديق الفاضل حينما نزهته عن أن يكون على غير اتصال بالمؤلفات العصرية فى مصر؛ وها هو ذا يعترف فى صراحة العالم العظيم بأن مدرسينا فى المدارس الابتدائية والثانوية لا يعلمون كيفية ضرب زيد عمراً، ولا رؤية الأسد فى الحمام، ولا يعربون البسمة فى أول درس من دروس النحو؛ ولكنهم يعلمون على أحدث طرق البيداجوجيا. ويعترف كذلك بأن لهم فى الأدب واللغة مؤلفات، ولكنها ليست كما وصف فى العدد الأول من الرسالة: «إذا أتجوا فغيب إتناجهم أنهم لم يستطيعوا أن يفهموا روح العصر ولا لغة العصر ولا أسلوب العصر وإنما التزموا التعبير القديم فى الكتابة والنط القديم فى التأليف، وتحجرت أمثلتهم الخ» - بل لهم مؤلفات يصفها هو نفسه بأنها «على غرار الكتب الأوربية فى الشكل والموضوع»

لقد كان يحزنى أن أكون مع الأستاذ على خلاف فى «بديهية» كتلك التى نحن بصدها؛ ولكنى أحمد الله الآن إذ أصبح الأستاذ يرى بعين منصفة - إلا أن يقصد من مقالته الجديدة أن يرمينا بالبعد عن الثقافة الإسلامية (وهو ماسبق أن أثبتته لنا فى المقالة الأولى)، وبأننا من حملة لواء الثقافة الأوربية مما أدى بتلاميذنا إلى كره الثقافة العربية الإسلامية. فإن كان هذا هو ما يقصده الأستاذ لزمته إحدى نتيجتين: فإما أنه يناقض نفسه - وهو ما أثبتناه فى غير موضع - وإما أنه يقر اعترافه كليهما: من أننا رجال الثقافة الإسلامية، ورجال الثقافة

الأوربية ، ولا مندوحة له إذن عن التخلي عن رأيه السابق في « الحلقة المفقودة ». ونحن لا نكلفه مؤونة الاعتذار إلينا ، فحسبه اعتذاره للحق أمام ضميره .

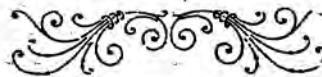
١٩ ذى القعدة سنة ١٣٥١ م
مهرى علوم

١٥ مارس سنة ١٩٣٣

أما بعد فهذه كلمتنا عن « الحلقة المفقودة » — استغفر الله — عن « الحلقة الموجودة » في رجال العلم والأدب ، لم توجدنا كلمتنا المتواضعة ولكنها أثبتت وجودها .

١٣ صفر سنة ١٣٥٣ م
محمد مهرى علوم

٥ يونيه سنة ١٩٣٤ م
أستاذ التربية بدار العلوم



الوصف في شعر امرئ القيس

لحضره الأستاذ السباعي السباعي بيومي

المدرس بدار العلوم

١ - تمهيد عام

سكتب في الشعر الجاهلي ، لا لأنه قديم ونحن قدامى كما يزعمون بل لأننا خدام العربية وهو في حاجة إلى أن يخدم بعد ، ولا زالت فيه نواح تتطلب أن يكشف عنها وتسترد ؛ وسنتخير من بين فنونه الوصف ، لأنه أحفلها مادة وأبعدها مدى وأدقها متناولا . ولأن انصراف الباحثين عنه جاء بقدر ماله من مكانة فبقى مغموراً غير معروف ، يعده العادون ذيل الفنون ، وهو لها الهامة والرأس والمرجع والأصل . وليس هذا الانصراف عن عيب فيه ، بل لأنه تناول أموراً بدوية بعدت إلى قدر ما عن الحضرة . فهجرت أغراضه ومن ثم أهملت فاستعجمت الفاظه . ولكن ما ذنب العرب في جاهليتها ينسى لذلك أهم فنونها ، فيضل كثير من آيات حذقها وعبقريتها .

نعم سنتكلم في الشعر الجاهلي وسنتخير من بينه الوصف لأن تلك الفنون لم تدع خلقاً من أخلاق العرب في ذلك العهد إلا وصفته ، ولا وجداناً من وجداناتهم إلا أظهرته كما لم تدع في يشتم كائناً محسباً دون الوصف ، ولا في عرفهم شيئاً من عقيدة أو عادة دون ذكر . وإذا كان الوصف معناه الكشف والظهار ، فقد جاء في عمومها باباً واسع النطاق صالحاً لأن يضم إليه كل ما إليه أشرفنا . ولكن العرف الأدبي مال به عن ناحية المعنى إلى ناحية الحس ، فأصبح يتناول أول ما يتناول المرأة

وما يتعلق بها من هذه الناحية ثم يتناول كل ما شملته البادية العربية من طبيعة أرض ولون سماء ومن أحداث جو وأصناف نبات ومن حيوان يدب على الأرض وطيير يصعد في السماء . وقد تفاضل الشعراء فيه كما تفاضل الناس في سائر الأشياء ، فمنهم من قصرت إجادته على شيء دون شيء ، كأبي دواد الأيادي في وصف الخيل وطرقه بن العبد في وصف الابل والشماخ بن ضرار في وصف الحر الوحشية والقسي وأوس بن حجر في وصف القسي وسائر عدد القتال والأعشى في وصف الخمر وغيرهم ممن عرفوا باسم الشعراء الوصافين لما تعرضوا له مجيدين ، ومنهم من أجاد في كثير من الأوصاف وإن فضل نفسه في بعضها كأمريء القيس في معظم ما ذكرنا ولذا جعلنا الوصف في شعره أساساً لما سنتناوله من كلام عن الوصف في الشعر الجاهلي عامة .

ب - تمهيد خاص

قلنا إننا سنتخذ الوصف في شعر أمريء القيس لشموله أساساً لما سنتناوله من كلام عن الوصف في الشعر الجاهلي فوجب أن نمهد ذلك بتمهيد خاص يحمل لنا كيف عاش ويرينا فنون وصفه لتكلم عنها فنا .. نشأ امرؤ القيس في بيت ملك عتيق صفاه الدهر دهر آفكان أبوه ملكاً وأعمامه ملوكاً ، وكان يتصل بوساطة هذا البيت ببيت المناذرة صلة نسب في القحطانية وصلة مصاهرة في أن هذا أم عمرو بن المنذر المعروف بعمر بن هند كانت عمه آية حجر ، وبالمصاهرة أيضاً كان يتصل ببني شيان أعز بيت في بكر لأن جده الحارث كان على ابنة عوف بن محلم الشيباني كما يتصل كذلك بأعز بيت في تغلب فان أمه فاطمة بنت ربيعة كانت أخت كليب ومهلل . ففي هذه البجوحة والسعة كانت نشأته ولكنه انصرف بكل نفسه إلى ناحية اللهو والاستمتاع بما يلهو ويستمتع

به أبناء الملوك العاثون فكان يتنقل في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذها وكلها صادف غديراً أو روضة أقام فحرق لهم ثم خرج فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا وشرب وسقاهم وغتته قياته وفي كل ذلك يقول الشعر غير متخرج من قول ولا مقلع عن غي حتى بذ شعراء عصره جميعاً في كل ما تعرض له من وصف النساء واللهمز ووصف الخيل والصيدها ووصف مظاهر الطبيعة وأهمها في هذه البلاد المطر بما يتقدمه من برق ويعقبه من سيل إلى غير ذلك مما يحوم حول هذه النواحي الثلاث ويتسق وتيارها في كل ما تتطلبه حياة العبث واللعب من ذوى العزة واليسار النائين بطباعهم عن مهام الجد ومشاعل المسؤولين . هكذا كان إلى أن قتل أبوه فاقبل على حياة أخرى نقلته من تملك وسلطان إلى خضوع وهوان ، ومن وجد وسعة إلى ضنك وفاقة ، ومن عزة وهيبة إلى مذلة ورهبة ، ومن غير ذلك إلى غير ذلك ، مما جعله في حياته الثانية شخصاً غير شخصه الأول وجعل شعره يحىء ملائماً لهذه الحياة الجديدة بقدر مخالفته لحياته القديمة فعدل عن الأغراض الثلاثة المتقدمة إلى أغراض أخرى يتطلبها الاحساس بالتبعة قد أقيمت على عاتقه في الأخذ بثأر أبيه ودأبه في هذه السيل يتذوق خلاوة النصر حيناً ويتخرج مرارة الهزائم أحياناً ثم انتهأؤه من كل ذلك إلى أن يصبح هائماً على وجهه مفزعاً مطلوباً يقصد هذا فيصده ويطلب إلى ذاك فيضمه ولكنه عما قليل يلفظه حتى نبت به الجزيرة على رجبها فخرج مستنجداً قيصر الروم إذ ذاك فلم ينجده وفي عودته من عنده خائباً وإفاه جله بعيداً عنه وطنه وأهله . فقنونه في هذه الحياة كانت الوعيد والتهديد والتحمس والتفاخر ، وكانت المدح والشكر والمعاتبة والهجو ثم كانت شكوى أيام جارت ، وتذكر عزة سلفت . فكانها ثلاث نواح حاضرة تقابل ثلاثاً غابرة وعلى هذا النسق سيكون ترتيب الكلام .

١

ناحية المرأة والغزل

جاءت حياة امرئ القيس الأولى أشد ملاءمة للوصف وجاء الوصف
أغلب عليها ولما كانت معلقته قد قُلت في هذه الحياة قطعاً فقد جاءت طريقة
فنية في الوصف ومراة صادقة لألوان تلك الحياة ولهذا رأينا أن نتخذها
أساساً نبني عليه ما قال من وصف في غيرها بادئين كما بدأ بالجانب
النسوي منها.

ترينا المعلقة بجلاء ووضوح وصراحة ومكاشفة أن صاحبها عاش
تلك الحياة لاهياً لا عباً قد أرخى لنفسه العنان إلى غير حد فلم يتكلف في
إحساس ولم يتستر وراء تعبير بل ترك يأنه طبع شعوره لاسلطان
لقله على هواه ولا فكاك للسانه عما يريد قلبه فهي من ناحيته تمثل نفساً
إباحية ومن ناحيتها تصلح النواة الأولى لما يسمى الآن بالأدب المكشوف
وليس بدعاً من خلع مستهتر كما مرى القيس يبيح لنفسه في عجب وخلاء
وتفاخر وتباه أن يحتبس على عنيزة ابنة عمه وأتراها ملابسهن يوم الغدير
بدارة جلجل ويأبى التسليم فيها إلا ملبساً ملبساً واحدة واحدة تائه عارية
مجردة وهو لذلك جد طرب وبه جد فخور . نقول ليس بدعاً منه أن يقول
في الأدب المكشوف وقد نحر ناقته ليركب مع ابنة عمه وقد ركب فملاً
مثل قوله :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلي
تقول وقد مال الغيظ بنامعا عقرت بغيري يا امرأ القيس فانزول
فقلت لها سيري وأرخي زمامه ولا تحرميني من جناك المجلل
ثم لا ينجل أن يفحش فيقول :

فمثلك حبل قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمام محول
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وتحتى شقها لم يحول
وهذه الناحية المكشوفة أكثر منها فى شعره الذى قاله فى سنيه الأولى
وكان يسمى نفسه من أجلها فاجراً فاخراً كقوله :

حلفت لها بالله حلقة فاجر لنا مواء ما إن من حديث ولا صالى
وسياتى ذكر هذا عند الكلام على نظائره من المعلقة فى موضوع اليوم
بدأ امرؤ القيس معلقته بخير مطلع عرف على غير مثال سابق فى
وصف الاطلال والدمى والوقوف عليها والبكاء على أهلها الراحين بعد
تعرف معالمها واستبانة رسمها وفى وصف مرارة البين ووقوف الأصحاب
عليه يؤسونه وهو لا يرى من شفاء غير سفح العبرات حيث يقول :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحول
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال
كأتى غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل
وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لانهلك أسى وتجمل
وإن شفتائى عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

وهذا مطلع أجاد فيه التشبيب ووضع له أسساً أتبعه الشعراء فيها من
الوقوف على منزل الحبيب وحدة تلك الحدود الضابطة وتعريف معالها
ورسومه على الرغم بما نسجته عليها الرياح جنوبية وشمالية ومن انتخابه غداة
البين انتخاباً يسيل عبراته كما تسيلها رائحة الحنظل من ناقفه وهو تشبيه
منتزع من جوف البادية وقراراتها، ومن أن موقفه هذا كان محل العطف
من صحبه إذ وقفوا مطيهم عليه متوسلين أن يتجمل ولا يهلك أسى، ومن
أن مطيهم هذا كان عزيز الإجابة لأنه يرى شفاؤه فى العبرة المهراقة ويرى

أن لا معول ولا سلوى عند رسم قد درس واحتمل أهله . ولم يقف عند حدود هذا الافتتان في مطالعه على تقاربها بل كان يودع كل مطلع من المزايا ما يفضل به غيره فهذا المطلع عينه قد حكاه في عينته التي قالها وهو مريض في طريقه إلى قيصر الروم ولكنه خالف فجعل الغفاء فيها حقيقة واقعة لطول العهد ، بينما جعل الرسوم هنا ظاهرة باقية لحداثته وهذا إذ يقول :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان
أت حجاج بعدى عليه فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان
ذكرت بها الحى الجميع فهيجت عقايل سقم من ضمير وأشجان
فسحت دموى فى الرداء كأنها كلنى من شعيب ذات سح وتهتان
فهذا مطلع لذكرى تقادم عهدها إذ كانت هذه القصيدة فى حياته
الثانية بخلاف مطلع المعلقة التى كانت فى حياته الأولى ولذلك يقول عفت
آياته منذ أزمان ويقول أت حجاج بعدى عليه فأصبحت تلك الآيات
كخط صحيفة فى مصاحف الرهبان وهى ذات قدم وخفاء ، وانظر إليه يخالف
فى وصف غزارة دمه عما قال فى المعلقة آنفاً فيجعل عينه تسحان الدمع
سحاً كفتق المزايدة الكبيرة تشعب وتفرى منها كلاها . وله مطلع آخر
خالف فيه هذين فأجاد وأبدع وهو قوله فى الطلل يتم دروسه وعفاؤه
حتى تنكره العين ولكن النفس تدركه بما لها من شغف باهله وتمام صلة
باصحابه وهو ابتكار منه فى إيجاز وحسن أداء قال :

لمن طلل درست آيه وغيره سالف الأخرس

تنكره العين من حادث ويعرفه شغف الأنفس

وكما ابتكر هذه الأجادات فى وصف الطلول والوقوف عليها ابتكر
كذلك تحية الربوع والإطلال والدعاء لها بما يرجو من نعيم مع التحسر

على عدم إجابتها له في خطابه إياها وعلى عدم تحقق متمناه لها وذلك في كثير من قصائده كالذى يقول في مطلع لاميته وهو :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان في العصر الخالى
وهل يعمن إلا سعيد مخلد قل لى الهموم ما يبيت بأوجال
وهل يعمن من كان أحدث عهده ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال
إلى غير ذلك من المطالع التشييدية التى استنها للشعراء واستحسنوها

من بعده وعملوا على محاكاته فيها ومع ذلك لم يزيدوا بل لم يصلوا ولم يقاربوا .
غادر امرؤ القيس هذا التشييب إلى ذكر محبوباته يصف توزع هواه

بينهن من أم الحارث وجارتها أم الرباب وغيرهما من أجل الكلام عنهن
إجمالاً قبل أن يخلص إلى عنيزة ابنة عمه فالى فاطمة العامرية العذرية فالى بيضة
الحدر التى دب إليها ، وكل ذلك فى الجزء الأول من معلقته فأرانا بهذا

كيف يكون الحب المفرق على مغانى الحسن والجمال يلهو به صاحبه
حيناً مع هذه وحيناً مع تلك حتى لكأنه قد وضع بهذا النوع من الوصف

أساس الغزل الاباحى والحب المصنوع الذى حاكاه فيه على ضالة بعض
الشعراء الجاهليين واقفى أثره مجيداً فيه عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة بعد

حتى تولى زعامة ذلك النوع من الحب مناظراً جميل بن عبد الله بن معمر
فى زعامته الهوى العذرى ، فعمر من بحر امرئ القيس كان يغترف ومن

غرسه كان يجنى فى الأوصاف الحسية يغرى بها الغوانى إغراء وفى الزورات
الليلية ينتهب لذته معهن انتهاباً وهذا بعض ما قال امرؤ القيس فى ذلك

قال فى المعلقة يصف ديبه إلى محبوبته ويتخلص منه إلى وصفها نفسها :—

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهوها غير معجل
تجاوزت أحراساً إليها ومعشرا على حراساً لو يسرون مقتلى
إذا ما الثريا فى السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل
فقال يمين الله مالك حيلة وما إن أرى عنك الغواية تنجلي
خرجت بها أمشى تجر وراءنا على أثرنا ذيل مرط مرحل
فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن خبت ذى حقاف عقتل
هصرت بفودى رأسها قتمايلت على هضم الكشح ريتا المخلخل
فجعل محبوبته منيعة المنال حتى يكون إقدامه عليها إقدام شجاع بطل يقتحم
الليل فى سراه ويتجاوز الأحراس حراصا على قتله، وعرف كيف يحدث
عن لسانها حديث الخائفة عليه الطامعة فيه التى تدعه يخرج بها ماشيا فنجر
على أثره وأثرها ذيل مرطها إخفاء وتليسا كما تدعه يجتاز بها ساحة الحى
ويتنحى مكانا ذا ستر واكتنان ثم أحسن الانتقال من ذكر هذا الخروج
الذى دب إليه ديبا إلى الدخول فى وصفه لها إذ هصر فوديا قتمايلت
عليه بكشح نحيل هضم ومخلخل ريان ملء حيث يقول فى تفصيل هذه
الأوصاف المكملة للوصفين السابقين

مهمفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل
كذكر المقناة البياض بصفرة غذاها نيمر الماء غير المحلل
تصد وتبدى عن أسيل وتتنق بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الرثم ليس بفاحش إذا حى نصته ولا بمعطل
وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعشل
غداثه مستشزرات إلى العلا تضل العقاص فى مثنى ومرسل
وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كائبوب السقى المذل
وتعطو برخص غير شن كانه أساريع ظى أو مساويك إسحل
وتضحى فتيت المسك فوق فراشها نووم الضحى لم تنتطق عن تفضل
تضىء الظلام بالعشاء كانهما منارة ممسى راهب متبل

إلى مثلها يرنو الحليم صباة إذا ما اسكرت بين درع ومجول
تسأت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادى عن هواك بمنسل
الآزب خصم فيك ألوى رددته نصيح على تعذاله غير مؤتل
فهو قد أقبل إلى تلك المرأة التي جعلها بيضة في نقاء اللون ونعومة
الملبس ونسبها إلى الخدر إبقاء على محاسنها وضنا من أهلها بتبذها، والتي
جعل كشجهاد ضيما ومكان خاخالها ريان مليئا فلم يترك شيئا يحسن وصفه
لدوى الحب المادى إلا وصفه مجيدا. فقد جعلها هههفه وهى اللطيفة الخصر
الضامرة البطن غير مفاضة والمفاضة، العظيمة البطن المسترخية اللحم، وجعل
ترائبها وهى موضع القلادة من الصدر فى الصقل والروتق كالمرأة جلاء
وإشراقا، وعاد فشبهها بالدرة المشوب بياضها بالصفرة على أن يكون نموها
فى ماء صاف غير مطروق. ثم أبقي على أسالة خدها معرضة ومقبلة وأعارها
عين بقرة من حسان البقر متقية مطفلة وأعطاهما جيد رنم يعشق لاعتدال
طوله ويحلى لثراء صاحبه كما جعل فرع شعرها كالفتحمة فى سواده وقنو
النخلة فى تشكله وأنها لغزارته قد نوعت بين أشكاله دلا فأضلت عقاصه
فى مشاهد ومرسله ثم جعل كشجها فى لطافته وتخصره جديلا، وساقها فى
انسجامه ولونه أنوباً وأصابعها أساريع ظبي أو غصون أراك، وأنها ربة
نعمة ورفه يتمتع فراشها بفتيت المسك وتمتع عليه بنوم الضحى ولم ينس
أن يعقب على هذه التفاصيل بجعلها فى إشراقها جملة منارة راهب تبدد
ظلام العشاء، وأن مثلها إذا تبخترت فى ثوب وسط ليس بالدرع الطويل
ولا المجلول القصير يرنو الحليم صباة إليها، فلا غرو إذا لم يتسل عنها وإن
تسلى غيره وإذا رد فيها ذا الخصومة لها مهما صدق نصحه واشتد تعذاله
وقال من لاميته يذكر الديب أيضا :

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء جالا على حال

فقالت سبائك الله إنك فاضحي ألسنت ترى السمار والناس أحوالى
 فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
 حلفت لها بالله حلقة فاجر لناووا وما إن من حديث ولا صالى
 فلما تنازعنا الحديث وأسمحت هضرت بغصن ذى شماريخ ميال
 وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ورضت فذلت صعبة أى إذلال
 فأصبحت معشوقاً وأصبح بعلمها عليه القتام سبي الظن والبال
 وليس بعد هذا رفق فى التحدث إلى النساء والحكاية عن ترويضهن
 وإذلالهن فى عبارات تذوب رقة وتسيل تأثيراً . وله من عينيته ذكر لهذا
 الديب كذلك ، خلص إليه بعد أن أحسن الوصف لما صار يراقبه من
 خللات العيش إذ ودع الصبا فأجاد فى الغرضين حيث يقول :
 وأصبحت ودعت الصبا غيرأتى أراقب خللات من العيش أربعاً
 فمنهن قولى للندامى ترفقوا يداجون نشاجاً من الخمر مترعاً
 ومنهن ركض الخيل ترجم بالقنا يادرن سرباً آمناً أن يفزعا
 ومنهن نص العيس والليل شامل ييمن مجهولاً من الأرض بلقعا
 خوارج من برية نحو قرية يجددن وصلاً أو يرجين مطمعا
 ومنهن سوف الخود قد بلها الندى تراقب منظوم التأمم مرضعا
 يعز عليها ريتى ويسوءها بكاه فثنى الجيد أن يتضوعا
 بعثت إليها والنجوم ضواجع حذاراً عليها أن تهب فتسمعا
 فجاءت قطوف المشى هيابة السرى يدافع ركنها كواعب أربعاً
 تقول وقد جردتها من ثيابها كما رعت مكحول المدامع أتلعا
 وجدك لو شئ أنا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا
 تصد عن المأثور بينى وبينها وثنى على السابرى المضلعا
 إذا أخذتها هزة الروع أمسكت بمنكب مقدم على الهول أروعا

وهذا لا يقل عن سابقه دقة وصف وحسن تناول ، وله غيرهما كثير
يمثل هذه الناحية من الديب إلى النساء ووصف النساء تمثيلا يضم إلى
انتهاج اللذة رفاهة العيش ووفرة النعم ، وإلى سمو المنزلة شمائل الملك
وعظمة الذات ، ومن هذا المترع كان يكرع ابن أبي ربيعة زعيم الغزل
الاباحى بعد كما تقدم ، على أن امرأ القيس ما كان ينجو خلال هذه التخمّة
بالملاذات من هجر وقى يضطره إلى المعاتبة والاستعطاف فيبلغ في وصف
ذلك مبلغا يحله الجانب العذرى من الحب محل الرضا والاعتبار كأن
يقول يخاطب فاطمة تلك في دلها عليه

أفأطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرعى فأجلى
وإن تك قد ساءت لك منى خليفة فلى ثيابي من ثيابك تنسلى
أغرك منى أن حبك قاتلى وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل
وما ذرفت عيناك إلا لتضربى بسهميك فى أعشار قلب مقتل
وإلى هنا نقف من هذا الجانب النسوى الآن حتى تتم مالا مرى القيس
من أوصاف ثم نعود بعد إلى مكانته فى كل وصف من حيث استعانة
الشعراء به فيه

في القرآن الكريم

لحضرة الأستاذ عبد المغنى المنشاوى

المدرس بدار العلوم

وَجَلَاءُ الشَّكِّ أَمْ نَوْرُ الْيَقِينِ	ذَاكَ نَوْرُ الْبَدْرِ هَادِي الْمُدْجِينَ
قَدْ تَبَدَّتْ فِتْنَةٌ لِلنَّظِيرِينَ	أَوْ ضِيَاءُ الشَّمْسِ فِي جَلَوْتِهَا
ذَلِكَ الْخَلْقَ مِنْ مَاءٍ وَطِينِ	أَوْ صَفَاءُ الرُّوحِ يُحْيِي سُرُّهَا
أَمَلُ الْيَأْسِ سِلْوَانُ الْحَزِينِ	أَوْ مُنَى الْإِنْفَسِ فِي مِحْنَتِهَا
عَلَى الْأَحْقَادِ فِي رَفَقٍ وَلِينِ	أَوْ طَيْبٌ سَلَّ فِي مَبْضَعِهِ
إِنَّهُ تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ	بَلْ كِتَابُ اللَّهِ فَاسْتَوْصُوا بِهِ

مَنْ أَمِينٍ جَاءَهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ	كَانَ خُلُقَ الْمُصْطَفَى أَصْدَقَ بِهِ
أَيْنَ مِنْهُ فَلَقُ الصُّبْحِ الْمُبِينِ	خَلْفَ الْمُصْحَفِ فِينَا هَادِيَا
قَدْ أَضَاءَتْ فِي وَجْهِهِ الْقَارِئِينَ	أَنْجَمًا نَقَرُوهَا أَمْ أَحْرَفَا

وَخَدِينِ النَّفْسِ إِنْ عَزَّ الْخَدِينِ	يَاشْفَاءُ الْقَلْبَ مَنْ أَوْصَاهُ
فِيكَ أَلْحَانَا بِهَا أَنْتَ الْقَمِينِ	قَدْ نَظَّمْتَ الرُّوحَ وَالْقَلْبَ مَعًا
بَعْضَ أَسْرَارِ تَحَامُّتِهَا الظُّنُونِ	عَلَّ هَذِي النَّفْسَ تَجْلُو سَاعَةً
وَتَرَى ثَمَّ الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ	فَقَرَى الْقُرْآنَ فِي الْوَاوِحِ
يُقْرَأُ النُّزِيلَ خَيْرَ الْمُرْسَلِينَ	وَتَرَى جِبْرِيلَ فِي تَبْيَانِهِ

ذلك صوتُ الله يا نفسُ سرى فسجاهذا الورى ، هل تسمعين؟

أيها الشعرُ تقدّمْ خاشعاً
أوسعَ اللاهينَ ذمّاً وكسا
مرحباً بالشعرِ يغدو بحرّه
ورد الذكّرَ معيناً صافياً
وانثنى ينضجُ مسكاً عجباً
وانظم الشعرى لهاجى الشاعرين
طيلسانَ الحمد شعرَ الذاكرين
منبعَ الحكمة والسحر المبين
فشقى الغلة من هذا المعين
عرفه الايمانُ والخلق المتين

يا كتابَ الله يا وحىَ السما
كيف يقوى الشعرُ أن يرقى إلى
كان سحبانَ فأمسى باقلاً
أفقرت أياته فارضخْ له
هاك من شعرى وحى الأربعين
كنهك المعجز أم كيف يُبين؟
رُبَّ عجزٍ جازَ جهدَ القادرين
بالمعانى الصدّق والقول الرصين

يا خطيباً بهتَ حجته
فهتَ بالفصحى بيانا عجباً
ثم خالوك جنونا ما لهم
ثم قالوا بل حديث مفترجى
هزى الحمقى فهاكوا سوراً
ودهى المفصح فيهم خرّس
بلسان الحق زورَ المشركين
فئالوا أنك السحر المبين
كيف يقضون أسحراً وجنون
أفترى مثلك رهط المفترين
جعلتهم هزاةً للهازين
يا نخزى المفصحين المخرسين

أنشأ الأُمى يُملك فما
خطك الكتابُ إلا ساجدين

شَاءَ وَجْهُ الظَّنِّ لَا يَحْلُمُ بِهِ مَا أَمِينُ الْغَيْبِ فِيهِ بَظَنِّينِ
آيَةُ الْجَبَّارِ مِنْ بَدَلِهَا اخَذَ الْجَبَّارُ مِنْهُ بِالْيَمِينِ

سَائِلُ الْأَنْصَابِ مَاذَا كَبَّهَا هَلْ تَلَتْ آيَا قُلَّتْ لِلْجَبِينِ
وَإِسْأَلُ الْأَدَابِ مَنْ شَادَ لَهَا غَيْرُكَ الْمَعْقِلَ وَالْحَصْنَ الْحَصِينِ
وَإِسْأَلُ الْأَلْبَابِ مَنْ صَرَفَهَا فِي السَّمَوَاتِ الْعَلَا وَالْأَرْضِينَ
صَفَّدَتْ فِي السِّجْنِ حَتَّى حَطَّمَتْ يَدُكَ الْبَيْضَاءُ أَصْفَادَ السَّجِينِ

تَضْرِبُ الْأَمْثَالَ ضَرْبًا مُعْجَزًا يَكْشِفُ الرِّيبَةَ عَنْ وَجْهِ الْيَقِينِ
فَتَرَى الدُّنْيَا مَتَاعًا هِينًا يَنْقُضِي فِي مِثْلِ عُمُرِ الْيَاسْمِينِ
وَنَرَى الْجَنَاتِ فِي رَوْضَاتِهَا يَخْطُرُ الْأَبْكَارُ مِنْ حُورٍ وَعِينِ
يَبْرُزُ أَشْجَارُهَا مَزْهُوَّةً بِجَنَاحِهَا الْغَضَّ تَغْرِى الْآكِلِينَ
وَيَكَادُ الْحَسَّ يَسْقِينَا بِهَا كَأْسَ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ
جَلَّ أَمْثَالُكَ أَنْ يُؤْهِنَهَا ضَرْبُ الْمَضْعُوفِ أَوْ ضَرْبُ الْمُهَيِّنِ
مِنْ بَعُوضٍ أَوْ ذَبَابٍ قَرْنَهُ كَذِبَابِ السَّيْفِ قِطَاعِ الْوَتِينِ

أَمْرُكَ الشُّورَى فِهْلٌ مِنْ جَاهِدٍ أَنْ شُورَاكَ أَدَاةُ الْمُصْلِحِينَ
تَهْتَفُ الدُّنْيَا بِهَا فِي تَشْوَةٍ أَنْتَ عِيدُ الشَّعْبِ عِيدُ الْمَالِكِينَ
شَرْعُكَ الْخَالِدُ قَدْ سَطَرَهُ مِرْقَمُ الدَّهْرِ عَلَى رَقِّ السَّنِينَ
شَاهَدَتْ عَيْنَاهُ دُنْيَا فَضْلَهُ فِي قُرُونِ آهٍ لَوْرُدَةِ الْقُرُونِ

خَلَقَ النَّاسَ وَسَوَّى الْعَالَمِينَ !
وَالْهَوَىٰ وَالْبَغْضُ غُلَّ الشَّارِعِينَ
سَاءَ شَرْعُ الظَّالِمِينَ الْمُغْرِضِينَ
أَلْبَسُوهَا الدِّينَ وَالْحَقَّ الْيَقِينَ
بَيْنَ الرُّشْدِ الْكِتَابُ الْمُسْتَبِينَ
وَتَعَالَى الْحَقُّ أَنْ يَرْضَاهُ دِينَ
مُشْتَرَى الْحَصَبَاءِ بِالذَّرِّ الثَّمِينِ
يَصِفُ الْبَلْسَمَ لِلدَّاءِ الدِّفِينِ

أَيْنَ شَرْعُ النَّاسِ مِنْ شَرْعِ الَّذِي
شَرَعُهُمْ يُمْلِيهِ بَغْضٌ وَهُوَى
شَرَعُوا ظُلْمًا وَسَنَوْا غَرَضًا
شَانَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ بَدْعَةٌ
عُصْبَةُ الْغَىِّ أَغْيَا بَعْدَ مَا
جَلَّ دِينَ الْحَقِّ عَنْ بَهْتَانِكُمْ
فَطَرَةُ الْخَلْقِ ، مَا أَنْصَفَهَا
عَالَمُ الْأَسْرَارِ مِنْذَا بَعْدَهُ

مُيَبَّرُ الْغَائِبِ فِي زِيِّ الرِّهَيْنِ
مُسْرِفُ الظَّنِّ نَخَاتُهُ الظُّنُونِ
يَالْعَى الْمَوْجِزِينَ الْمُطْنِينِ
وَنَرَى بِاللَّحْخِ آلَافَ السِّنِينَ
يَتَنَزَّى فِي حُجُورِ الْأَوَّلِينَ
سَحْرُهُ قَيْدُ عَيُونِ النَّاطِرِينَ
لَنَرَى بِالْعَيْنِ دُنْيَا الذَّاهِبِينَ
خَارِجًا يَلْعَنُ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ
فَطَوَى عَمْرَ الطَّغَاةِ السَّاحِرِينَ
رَاجِيًا بِالصَّبْرِ عَقْبَى الصَّابِرِينَ
وَنَرَى مُوسَى وَسِحْرَ السَّاحِرِينَ
وَاحْتَوَى فِرْعَوْنَ قَبْرُ الْمُغْرَقِينَ

لَكَ فِي الْقِصَّةِ فَنٌ عَجَبٌ
طَفِقَ التَّارِيخُ يَعْدُو خَلْفَهُ
وَاسْتَبَانَا مَوْجِزًا أَوْ مُطْنًا
نَقَطَعَ الدُّنْيَا بِهِ فِي وَثْبَةٍ
وَنَعِيدُ الدَّهْرَ طِفْلًا لَاهِيًا
قَصَصٌ يُرَوَّى لَنَا أَمْ مُشْهَدٌ
يَنْفُضُ الْأَكْفَانَ عَمَّنْ ذَهَبُوا
قَرَى آدَمَ مِنْ جَنَّتِهِ
وَنَرَى نُوحًا طَغَى طُوفَانَهُ
وَنَرَى يَعْقُوبَ فِي مِحْنَتِهِ
وَنَرَى فِرْعَوْنَ فِي طَغْيَانِهِ
سُحْرِ السَّحْرِ فَأَهْوَى سَاجِدًا

كم قرون أصبحت أجيالها ثم أمست مشد للآخرين
صور الفرقان منها عبراً كدن يلبس بأيدي اللامسين

صدق الله فهذا ذكره فيه نورٌ وهدى للمتقين
هو ركن الدين والدنيا معاً فاططبوا شورا في دنيا ودين
حوطوا للدين عريسته وازجروا الأكلب أن تغشى العرين
أحفظوا القرآن أبناءكم يحفظ القرآن دين الحافظين

أيها المشتاق نجوى ربه خاطب الله به في كل حين
واعبد الرحمن في قرآنه تغد بالقرآن زين العابدين



مجمع اللغة العربية الملكي

معاونته على تحقيق أغراضه

لحضرة الأستاذ مصطفى السقا

المحرر بالمجمع اللغوي

١ - مقدمة

من المآثر التي يفاخر بها عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول إنشاء مجمع اللغة العربية الملكي، للقيام على شؤون هذه اللغة الشريفة وجعلها أقدر على الوفاء بحاجات الحياة الحاضرة، ومجaraة اللغات الحية. وهذه مكرمة جليلة لصاحب العرش المُقَدَّى ، أعلى بها شأن العربية بين اللغات ، ورفع قدر مصر بين الأمم ؛ ومنه طوق بها جيد كل عربي في مشارق الأرض ومغاربها.

٢ - أغراض المجمع

أنشئ المجمع تحقيقاً لأمنية كانت تتردد في نفوس الشعوب العربية منذ أكثر من نصف قرن ، وقد بينت المادة الثانية من المرسوم الملكي الخاص بإنشاء مجمع ملكي للغة العربية أغراض هذا المجمع فقالت :

« أغراض المجمع هي :

(١) أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ؛ وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة - على العموم - لحاجات الحياة في العصر الحاضر ؛ وذلك بأن يحدد - في معاجم أو تفاسير خاصة ، أو يغير ذلك من الطرق - ما ينبغي استعماله أو تجنبه : من الألفاظ والتراكيب

- (ب) أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وأن ينشر أبحاثاً دقيقة في تاريخ بعض الكلمات ، وتغير مدلولاتها .
- (ح) أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .

وهذه المادة تتضمن أغراضاً أربعة :

الغرض الأول : المحافظة على سلامة اللغة ؛ وتحقيق هذه السلامة بأمرين : المحافظة على من اللغة ، والمحافظة على أصولها وقواعدها . ومن العناية بالمتن استعمال الكلمات في معانيها ، وإحكام الصلة بين حقيقتها ومجازيها ، ومحاربة العاصي والدخيل ، حتى لا يذهب بجمال العربي الفصيح ومن العناية بالقواعد محاربة الأساليب الملتوية الأعجمية ، التي تطفئ على الأساليب العربية الصحيحة ، قشوه جمالها ، وتذهب بقوتها ورسالتها .

والغرض الثاني : جعل اللغة العربية وافية بمطالب الحياة في العصر

الحاضر ؛ وذلك بأن تؤدي معاني العلوم والفنون ، مما يتجدد بتجدد الزمان ، ومقتضيات الأحوال في سهولة ويسر ، ويتحقق ذلك بوضع مصطلحات لكل علم وفن ، وبالبحث في الوسائل التي تجعل اللغة سهلة ميسورة على القارئ والكاتبين . وهذا الغرض أولى أغراض المجمع بالتقديم ، وأحقها بالرعاية ، وأجدر أن يتعاون عليه المشتغلون بالعلوم والفنون ، من عرب ومستعربين ، ليرجع إلى هذه اللغة مجدها الغابر ، وتسترد ماضيها المجيد ، فتصبح لغة العلم والفن ، كما هي لغة الأدب والدين .

والغرض الثالث : تأليف معجم كبير ؛ يكون ديواناً عاماً للغة العربية ، يجمع فصيحها وغريبها ، ونادرها ، ويبين أطوار استعمال الكلمات ،

وما طرأ على بعضها من تغير الدلالات . وتأليف هذا المعجم أسعى أغراض
المجمع ، وأعظم خدمة تُسدى إلى اللغة العربية . ولا يمكن أن يتم وضعه
في بضع سنين ، وإنما يستغرق أزماناً طويلة ، ويتطلب جهوداً ومساعى
كثيرة .

والغرض الرابع : درس اللهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من
البلاد العربية دراسة علمية ؛ ولهذه الدراسة فوائد شتى أبان عنها الأستاذ
نليتو أحد أعضاء المجمع العاملين في بحث القاه باحدى جلسات المجمع ،
ويمكن إجمال تلك الفوائد في الأمور الآتية :

(١) توضيح بعض الألفاظ الفصيحة ، التي لم تشرح في المعاجم شرحاً
كافياً ، فظلت يحيط بها الظلام ويكتنفها الغموض ، وقد جمع مستشرق
سويدي طائفة كبيرة من أسماء النبات التي لم تشرح في المعجمات ،
واستعان على تفسيرها وشرحها بمعرفته اللهجة اليمنية : إذ وجد معظم
تلك الأسماء مستعملة على ألسنة العامة في بلاد اليمن .

(٢) المساعدة على فهم مسائل مهمة في اللغة الفصيحة كـ بعض قواعد
الصرف والنحو .

(٣) معرفة ما دخل اللغة الفصيحة من الألفاظ العامية .

(٤) معرفة أصول الكلمات العامية المختلفة ، ثم الأصل الذي تنتمي
إليه جمهورتها .

(٥) مقارنة اللهجات بتصنيفها أصنافاً على حسب نشأتها وصلات
بعضها من بعض .

(٦) معرفة انتقال الجيوش ، وارتحال القبائل ، واختلاط بعض
الأمم ببعض .

(٧) دراسة الحياة العقلية والنفسية والاجتماعية لـ قـبـل من الناس .

(٨) دراسة تاريخ بعض الشعوب البائدة .

وقد بينت اللائحة الداخلية هذه الأغراض في المواد الثلاث الأولى، وتؤثر أن نقلها هنا إيضاحاً لمادة المرسوم، وهذه نصوصها :

(١) على المجمع أن يحافظ على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون، ملائمة لحاجات الحياة في هذا العصر. وله أن ينظر في قواعد اللغة، فيتخير — إذا دعت الضرورة — من آراء أئمتها ما يوسع دائرة أقيستها، لتكون أداة سهلة للتعبير عن المقاصد العلمية وغير العلمية .

(٢) للمجمع أن يستبدل بالكلمات العامية والأعجمية التي لم تعرب — غيرها من الألفاظ العربية . وذلك بأن يبحث أولاً عن ألفاظ عربية لها في مظانها - فإذا لم يجد بعد البحث أسماء عربية لها، وضع أسماء جديدة بطرق الوضع المعروفة : من اشتقاق، أو مجاز، أو غير ذلك . فإذا لم يوفق في هذا، التجأ إلى التعريب مع المحافظة على حروف اللغة وأوزانها بقدر الطاقة .

(٣) يقوم المجمع بوضع معجمات صغيرة لمصطلحات العلوم والفنون وغيرها تنشر تدريجاً، وبوضع معجم واسع يجمع شوارد اللغة وغيرها وبين أطوار كلماتها، كما ينشر تفاسير وقوائم لكلمات وأساليب فاسدة يجب تجنبها .

ويقوم يبحث على اللهجات العلمية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .

٣ - لجان المجمع

ألف المجمع لتحقيق أغراضه السابعة عدة لجان، بعضها دائم . يعمل طول السنة، وبعضها غير دائم، والذي تهتم معرفته هو اللجان الدائمة وهي سبع :

١ — لجنة العلوم الرياضية : وتبحث في مصطلحات الحساب ،
والهندسة بأنواعها ، والجبر ، وعلم الآلات والحيل (الميكانيكا) والفلك
وما إلى ذلك .

٢ — لجنة العلوم الطبيعية والكيميائية ، وتبحث في :

- ١ — مصطلحات الطبيعة بأقسامها : من بصريات وكهرباء
ومغناطيس ، وما إلى ذلك .
- ب — علم الكيمياء بأنواعه .

٣ — لجنة علوم الحياة والطب : وتبحث في المواليد الثلاثة : (الجماد
والنبات والحيوان) وفي وظائف الأعضاء وما إليها ، وفي الطب بأنواعه
٤ — لجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية . وتبحث في :

- ١ — علوم الاجتماع ، كالحقوق ، والاقتصاد ، والسياسة ،
والإدارة ، ووصف الشعوب .
- ب — العلوم الفلسفية : كعلوم النفس ، والمنطق ، والأخلاق
والتصوف ، والالهيات ، والدينيات .

٥ — لجنة الآداب والفنون الرفيعة ، وتبحث فيما يأتي :

- ١ — مصطلحات التاريخ والجغرافيا .
- ب — ما يتعلق بالمدينة ومساكنها ، والمنزل وأجزائه وأدواته
ونحو ذلك .

ج — مصطلحات الصناعات والحرف وما إليها .

- د — مصطلحات الفنون الرفيعة ، مثل الرسم ، والتصوير ،
والنحت ، وتقر الخشب ، والموسيقى بأنواعه وآلاته وأجزاء
آلاته ، والتمثيل ، والخيالة ، والشعر .

هـ - تصحيح الألفاظ والأساليب التي يغلط فيها .

٦ - لجنة المعجم : وقد بينا فيما سبق وصف المعجم التاريخي الكبير الذي ذكره المرسوم في الفقرة (ب) من المادة الثانية .

٧ - لجنة اللهجات : وتقوم بدراس اللهجات العربية الحديثة في مصر وغيرها من بلاد الشرق دراسة علمية كما جاء في الفقرة (ح) من المادة الثانية من المرسوم الملكي . وقد بينا بمجمل الفوائد التي توصل إليها تلك الدراسة فيما سبق .

ولابد من التنبية على أن اللجان الخمس الأولى إنما هي لجان لغوية فهي تنظر في العلوم والفنون والآداب من حيث المصطلحات المستعملة فيها ، لتنظيم العلاقة بين ما يجري به العرف ، وما تطلبه اللغة .

٤ - ماذا عمل المجمع في الدورة الماضية ؟

يتساءل الناس في كل مكان : ماذا عمل المجمع في الدورة التي انعقدت في شتاء هذا العام ، وما با كورة الثمرات التي أهداها إلى الأمة العربية ، وفي هذا التساؤل أمارات العناية بالمجمع ، والرغبة في الانتفاع بثمرات أعماله ، غير أن بعض الناس لم يقف بهم الأمر عند التساؤل والرغبة في الاستطلاع ، والتشوق إلى النتائج ، بل جاوزوا ذلك إلى الاتهام والتجني على المجمع ، ولم ينتظروا حتى تطل عليهم الحقيقة ، فتخاطبهم بلسانها الرسمي في نشرات المجمع أو مجلته ، فيكون حكمهم بعد ذلك للمجمع أو عليه .

والحق أن الذين يطالبون المجمع أن يظهر نتائج سريعة بعد خمس وثلاثين جلسة متعجأون ، راغبون في جني الثمرة قبل إدراكها ، فهؤلاء الأعضاء العشرون الذين جمعهم تلك الدار من مختلف البلدان والبيئات كان لابد لهم أن ينفقوا الدورة الأولى في وضع الأسس التي يقوم عليها

المجمع، فبدءوا بوضع اللائحة، وهى منها جههم، الذى ينظم العلاقة بينهم، ثم ثنوا بتأليف اللجان المختلفة، وقسموا الأعمال على تلك اللجان، ثم نظروا فى بعض الأصول العلمية العربية لتدليل بعض العقبات التى تعترض اللجان فى طريق عملها.

وقد قرر المجمع فى هذه الدورة أن تقوم كل لجنة بتنقيح المصطلحات العلمية الشائعة فى الكتب المدرسية الابتدائية والثانوية، التى ألفت بمصر وغيرها من البلاد العربية منذ عصر محمد على باشا إلى اليوم، فإذا انتهت من ذلك نظرت فى كتب التعليم العالى، فتقحت المصطلحات الموضوعية أو المترجمة، ثم شرعت تضع المصطلحات الجديدة.

وقد يظن أن جمع المصطلحات من الكتب الدراسية الابتدائية والثانوية هين ميسور، والحقيقة أنه عمل شاق عسر، فلا بد من هذه الكتب أولاً، ولا بد من قراء يقرءونها، ولا بد أن يكون أولئك القراء على علم بموضوع الكتب التى يقرءونها لاستخراج المصطلحات منها، وأن يضعوها فى قوائم تقدم إلى لجان المجمع لتنظر كل لجنة فيما بين يديها من هذه المصطلحات وتحتاج كل لجنة إلى مساعدين من العلماء الذين يساعدونها على الحكم بأن هذه المصطلحات لها دلالتها الخاصة، وعلى أعضاء المجمع بعد ذلك التطبيق اللغوى، فكم وقت ينفق فى كل ذلك؟

والذى نرمى إليه من كل ما تقدم أن المجمع فى الدورة الأولى وضع الأسس التى يسير عليها، وأن اللجان التى ألفت تعمل الآن فى جمع المصطلحات العلمية لتنقيحها فإذا انتهت أى لجنة من عمل قدمته إلى المجمع فى الدورة المقبلة للنظر فى إقراره، وبعدئذ يصير رسمياً، فينشر ويذاع.

هـ - معاونة المجمع

كان جديراً بالذين يهتمون بالمجمع بالعجز عن خدمه اللغة العربية

— وفيه من العلماء المصريين وغير المصريين من لا يجهل قدره، ولا تخفى مكاتته — أن يتساءلوا عن الطريق التي يساعدون بها المجمع لتحقيق أغراضه، فإن هذه المساعدة ضريبة أدبية يجب أن يؤديها المشتغلون بالعلوم والفنون، الراغبون في إنهاض لغتهم العربية من عثرتها، لتجارى لغات الأمم الحية في ميادين الفخار والشرف.

إن مهمة المجمع اللغوى كما قدمت شاقة عسرة، وكل الصعوبة في جمع المواد الأولى التي توضع بين أيدي اللجان، لتصدر فيها أحكاماً. خذ لجنة كلجنة الرياضيات مثلاً، فحاجتها ماسة إلى أيد كثيرة تعاونها على جمع مصطلحات الحساب والهندسة والجبر والفلك من الكتب الدراسية، فكم كتاباً مدرسياً ألف في تلك العلوم في مصر وفي غيرها من البلدان العربية، وأين تلك الكتب التي ليست بأيدينا، وكم معاونا تحتاج إليه اللجنة لاستخراج تلك المصطلحات من الكتب؟ وقس على ذلك بقية اللجان، فكلها شديد الحاجة إلى أعوان مثقفين من طراز المدرسين بالمدارس الثانوية مثلاً فهل يلي المدرسون حاجة مجتمعهم ولغتهم إلى هذه المعاونة فيقدموا إليه قوائم تحوى المصطلحات العلمية ويخطوا بأيديهم

صفحة من صفحات الفخار تبقى لهم مابقيت العربية في الأرض. وهناك ضرب آخر من المعاونة ينبغي أن يحرص عليه نقلة العلوم العالية من اللغات الأجنبية إلى العربية، فعلى هؤلاء أن يضعوا قوائم تحوى المصطلحات الجديدة باللغة التي يتقنون منها مع ما يقترحون لها من ترجمة عربية وأن يعرضوا ذلك على المجمع كلها اجتمع لهم منه قدر صالح ليصدر قراراً بما يجوز استعماله من تلك المصطلحات وما لا يجوز وليساعدهم على اختيار آخر، وفي التعاون بين المجمع والعلماء ضروب من الفوائد لا يجهل قدرها

ومن طرائق معاونة المجمع ما يضعه العلماء من البحوث اللغوية في

تحقيق الألفاظ وتاريخ استعمالها وتدرج دلالاتها . وهذا الضرب من المعاونة يشمل أموراً منها :

أ - نقد المفاهيم العربية ، وشرح الألفاظ الغامضة شرحاً كاملاً كأسماء النبات والحيوان ، مما يقال فيه : نبات أو حيوان معروف ، أو نحو ذلك ، من الصفات التي لا تجلو عمى ولا تذهب حيرة وقد يكون من العناية بذلك تصوير الشيء المقصود ، وهو في هذا العصر سهل ميسور .
ب - تصحيح الألفاظ والأساليب التي يغلط فيها كثير من الناس وبيان وجه الخطأ فيها .

ج - حصر ألفاظ اللغة العامية وردها إلى أصولها . واستخراج قواعد صرفها ونحوها وبلاغتها ، وجمع أمثالها وحكمها ودرسها درساً علمياً لمعرفة دلالاتها على أحوال المتكلمين بها .

ومن معاونة المجمع درس القواعد الصرفية والنحوية والهجائية التي يؤدي الأخذ بها إلى تيسير اللغة وتسهيلها على القارئ والكاتبين ، كقواعد الجموع ، وقواعد رسم الحروف ، ونشر البحوث في ذلك بمجلة المجمع أو غيرها .

وبعد ، فإن معاونة المجمع لا تنقف عند هذه الأمور المذكورة ، ولكننا لا نريد أكثر من ضرب المثل ، وإن المجمع ليتقبل بالشكر من خدام العربية المخلصين أن يمدوا إليه أيديهم بالمعاونة العلمية الصادقة

وليس من شك في أن « جماعة دار العلوم » وصحيفتها أحق من يقوم بمعاونة المجمع . وقد نص قانون « الجماعة » على ذلك ، كما جعلته « الصحيفة » جزءاً من منهجها . وبذلك نرى أصدق صفحة من وفاء « دار العلوم » للعربية ؛ فأبناؤها في داخل « المجمع » وفي خارجه أعوان المجمع وزعاة الفصحى :

الشعر الوصفى

وصف الطبيعة

فوق نبع الصفا^(١)

لحضرة الأستاذ عبد الباقي إبراهيم المدرس بمدرسة عبد العزيز للبعدين

يا نيمر الماء يجرى صَبِيَا	قد جلت منه ذكاء الذهب
فوق شبه الدر أو أبهى جرى	هامسا همسا يثير الطربا
تحت جنات فسيحات زها	بحلى رصَّعْنَ أعطاف الربا
أنت سلوان إذا الهم طغى	وشفاء حين تشكو الوصبا
ملئت نفسى ينبوع الصفا	بهجة ردت شبابا ذهبا
كشفت لى صورة النفس التى	أسبل السقم عليها حجا

دافقا من بين أصلاب الصفا	ذلل الصخر ووطأ مركبا
فتراه مرة منبعثا	من خلال الصخر أو منسربا
وتراه تارة مندققا	فوق « شلال » عليه وثبا

هادى النغمة لا يزعجه صائح القاع^(٢) تشكى صخبها

(١) نبع الصفا، نهر يتدفق فوق جبل شامخ من جبال لبنان الجنوبية.

(٢) القاع نهر يجوار نبع الصفا.

عطف الدوح عليه وحنأ مد ذيلاً ثم أرخى هدباً

يا جلاء الهم ما ذا تشكى مسبل الدمع له مضطرباً
ما الذى تهمس فى أذن الحصى قهيج القلب منى للصبا

عند شاغور حمانا^(١)

للاستاذ عبد الباقي ابراهيم

يا لها بهجة بعينى وقلبي يوم ملئت رؤية الشاغور
دافقاً من ذرا أشم منيع لاح للعين فى جلال ونور
نحت الصخر فى أناة ولين رب عزم يشتد تحت فتور

سرمدى تحار من أين يجرى وإلى أين فى صميم الدهور
مستريح إلى الغناء فما تبهر أنفاسه لطول الخير

أيها الصادح الذى يرسل اللحن طليقا يفيض فىض الأثير
صاقلا وحشة النفوس بأنس ساكب البرد والندى فى الصدور
وقفت حوله الطبيعة تصغى كفتاة أصغت للحن طرير
ما لقلبي لديك يشعر بالحز ن وعينى بكت بدمع غزير

(١) شاغور حمانا ، نهر يتدفق من علو شاهق فى مصيف من مصايف لبنان

يدعى حمانا .

إن بين السرور والحزن قربى تثبت الحزن في مجال السرور
أم لعل بك اذكرت زمانا كنت فيه كالليل المحبور

هاتفا للجمال حيث أراه ناشراً سره بلحن مثير
في وقار الدجى تَلَفَّعَ بالسَّو د وفي خفة الصباح المنير
في ابتسام الأزهار قبلها الفجر وفي رونق الشباب الغرير

كم ضحكنا للنيل يهمس للرمل كهمس الشاغور بين الصخور

مودعاسره بالطف نجوى مثل همس النسيم أو كالصرير
وضحكنا له يسير وديعاً في ازدهاء وفي اختيال وقور
في انصقال يحبو العيون ضياء وانفساح يريح ضيق الصدور

ولأمواجه لهن رنين واصطفاق والليل مرخي الشعور
نغمات تطير من هجعة الليل وتضري من طرفه المخمور
نغمات تشيع في ابتهاجا وسموا ورقة في الشعور



شعراء دار العلوم

بنظم

حضرة الأستاذ عبد الرحيم بن محمود
المدرس بالمدرسة التوفيقية الثانوية

دار العلوم خير دار نجلت أدباء ، كُتّابا وشعراء ، وقد نيفت اليوم
على الستين عاما ، وما زالت في فم الدنيا ابتساما ، وما كانت الفنون اللسانية
التي حذقوها وتوقروا على تعليمها بعد تعلمها إلا وسيلة للكلام الصحيح
الفصيح نثراً وشعراً — وقد نبغ من دار العلوم كُتّاب هم لها ميم البلاغة
وعرايين الفصاحة وتجلت آثارهم في الصحف ولهم فيها الصدر كالأستاذ
الشيخ عبد العزيز جاويز والشيخ طنطاوي جوهرى والشيخ عبد الوهاب
الأديبة بأقلام محمد الحضرى بك ومحمود أبى النصر بك وحفى ناصف بك
وحسن توفيق العدل افندى والشيخ طنطاوى جوهرى والشيخ عبد الوهاب
التجار بما اقتبس من الصحف ومؤلفاتهم المتنوعة — ولست أريد الآن
الكتابة فى أولئك الكتاب لأننى لم أعنونهم ولاكنى أقصر كتابى على
شعراء دار العلوم واذكر آثارهم التليدة والطريقة التى جادت بها قرائهم
ولقيت من الآذان استماعا ، ومن القلوب انتجاعا ومن النفوس استمتاعا .
وقد اعتاد الأدباء المؤرخون أن يعرفوا المتأدين بالأديب المترجم له
بوصفه وصفاته ، وبإذاعة ما يتصل بحياته ، من مولده إلى مماته ، لأن للنشأة
التي نشأ فيها الأديب ولوطنه وعصره ، أثر فى نثره وشعره . ولاكنى
لا أنسج على هذا المنوال ، لأن معرفتهم بأدباء دار العلوم أكثر مما يكتب
ويقال — والمعترف لا يعرف ومن ذا الذى يجهل تاريخ حياة شعرائنا مثل
حفى ناصف بك والشيخ محمد عبد المطلب وله ديوان مطبوع متداول

وكذلك الأستاذ على الجارم والأستاذ عبد المغنى المنشاوى والشيخ عبد الله عفيفى والأستاذ سليم المسلى وشاعر الالهرام الأستاذ محمد عبد الغنى حسن والأستاذ خلف الله والأستاذ سيد قطب من كتاب الالهرام والمغرد على قننها إلى غير أولئك ممن لم أذكرهم اليوم مجملاً وسأذكرهم غداً مفصلاً - واكتفى بتعرف شاعرية كل شاعر من شعره الذى أحلله تحليلاً فنياً من حيث المبانى والمعانى أولاً والشعور ثانياً والخيال ثالثاً والمنطق رابعاً - وهذه دعائم الشعر لا النظم العروضى أى الكلام الموزون المقفى - وإنى اسبر بمسبار عصرى الذى هو عصر كل منهم مبلغ الاستفادة بما رأى واختبر من المستحدثات وما انتفع به فى شعره من المخترعات وما أثر فيه وفينا من الأخلاق والعادات، والحقائق والترهات، - وأوخر الحكم له أو عليه بأدبه حتى تتم المقالات، لأن الحكم نتيجة المقدمات، فيلقى من الأقدمة إقبالا، ومن النفوس إجلالا؛ بعد أن يدخل الآذان بلا استئذان.

وما النثر الفنى الا شعر مشور إذ أنه قام على أركان الشعر التى سلفت وإن كنت لا أعرض له فى مقالأتى التى هى بذلك العنوان لتجرده من أوزان الشعر العربى الجاهلى والاسلامى.

فإن أنكر على أحد حكمى، واتهم فهمى فليرد على كلى - وإن أصبت فؤاد الحقيقة (وهى بنت البحث) فقد أصبت هدفى فى هذه الطريقة الطريفة - وهذا جناى وخياره فيه، وكل جان يده إلى فيه. وكأئنا أتمثل بملك البيان أحمد شوقى بك حينما قال:

إنى وإن صفرت كلى أخو كرم أسقى وأسقى أولى الأبواب من كلى
وإنى أريد المؤدين على اتباع هذه الشرعة، وإن كانت صعبة،
فينبغى ألا يطنبوا فى التراجم ويوجزوا فى النماذج ويحتزوا بتفسير

مفرداتها اللغوية وتحليلها نحويًا لا يانيًا فقد ضاع الوقت وما أثمره في الإعراب، في غير إعراب وإطراب، والإبدال والإعلال في أطراد المقال فاعتلت بنات الشفاء وبنات النهى ولما من الله عليها بالإبلال — وأحر قلباه — فإن ضاق وقت التدريس بالمدارس عن تحقيق هذه الغاية لتشعب المناهج المخففة المثقلة فلن تضيق عنها المدارس في غير المدارس والشعب العربية، في الأزهر ودار العلوم والجامعة المصرية، ولن تضيق بها المجلات الأدبية، والصحف اليومية.

وما على إذا ما قلتُ معتقدي دع الجهول يظن الحق بهتنا وأراني مضطرا إلى توضيح منهجي التحليلي الذي أومأت إليه في صدر مقال حتى لا أذر مجالا لمستدرك ولا رية لمرتاب في كل ما أجملت وأوجزت فأثير سبيلي بنور الهداية في البداية فأقول:

(١) المعاني والمباني — يقصد الشاعر من شعره، ما يقصده الناصر من نثره أي الإبانة عما في نفسه من المعاني أيًا كان المقام كالغزل والمديح والهجاء والرثاء والوصف والفخر والعتاب والاعتذار والاستعطاف والسياسة وشكوى الحال والحكم والوعظ وضرب الأمثال، إلى غيرها من أبواب الأدب التي عرفت عن العرب.

ومن هذه المعاني ما هو فطري فيشترك فيه البدوي والحضري من العرب والعجم كالأوليات والأحوال المشتركة في الحياة والمشاهد التي يشهدها الناس في البر والبحر والسماء والهواء والمشارع الباطنة كما توحى بها الخواطر بلا مبالغة ولا كد خاطر - واتفاق الشعراء في هذه المعاني الفطرية لا يعد سرقة ولا توارد خواطر - ومنها ما هو غريب نادر انتزعه الخيال من المرائي الجميلة والميول الجليلة وألف بينها تأليفا يأخذ بالآل باب، في كل باب، وذلك يسمى المعاني المخترعة وهو في الفطر السليمة أكثر

انتزاعاً، وفي الأمم المتحضرة أجل إبداعاً وبه تتفاضل الشعراء، على أن يكون المعنى جلياً على تساميه، وللحقيقة فيه نصيب موفور وإن لبست ثوب الخيال. فإن كان فيه مبالغة فعلى الأديب ألا يخرج بها عن العقل ومألوف الطبع. وعلى أن ترتب المعاني ترتيباً منطقياً وإن تداعت فينبغي ألا تجر إلى استطراد يخرجها من المقام إلى غيره في غير ما يقتضيه والاستطراد البديعي. موطن يحسن فيه لمناسبة تسهويه. فتأخذ المعاني بعضها بأيدي بعض، على مد القرض، وتتساق كمتناسق تناسق الأزهار في الطاقة، والغزلان في الرشاقة.

أما المباني فتنتقي ألفاظها فتكون رشيقة رقيقة، سهلة جزلة، وتوثق الروابط بين عباراتها ويكون سداها البيان، ولحمها الاقتان، وتوشى بالبديع من البديع في غير تعمد وتكلف وإسراف. وحامد المقال أن يكون اللفظ جزلاً والأسلوب عذباً فينصب سرى المعنى في سرى المبني، من أقرب الطرق إليه وأطرفها لديه.

وقد كنت أعدى أعداء الصناعة اللفظية فأصبحت من نصرائها في الشعر العربي والنثر الفني إذا بلغت الغاية في الجمال والإتيان كثر بديع الزمان وبين يدي أسواق الذهب لزعم الأدب أحمد شوقي بك يروعي فيه وفي شعره المبني والمعنى كأنهما أخذ السحر، في كل سطر، كما يروعي جمال التمثال، الذي يحقق معاني الجمال، وتستجد أيها المتأدب شعراءنا مصورين يباينون يتخذون الصنعة. وسيلة للروعة، ولا غرو فإنهم شبوا وشابوا في وادي النيل تحت ظلال النخيل وصاحوا نسيمه العليل الليل بين آثار المدينة التليدة، في أحضان المدينة الجديدة، فتعلوا في دار العلوم بعد الأزهر وعاشروا أمشاجاً من الناس مختلفي الأجناس فكان منهم المعلومون والقضاة والمؤلفون والمترجمون في المنقول والمعقول، والمعلوم

والمجهول ، وكانوا صادقي الحدس لطيفي الحس فكهمين في سرعة خاطر
حاضري الجواب بين الصباح ولا عجب إذا كان إنشاؤهم عذبا ، وشعرهم
عجبا فلابل الرياض مطبوعة على حسن الأنعام - ولم يحرموا أنفسهم جمال
الدنيا وجلالها وقد ظهر أثر الجمال والجلال في شعرهم على ما ترى بعد
- إن من البيان لسحرا -

(٢) الشعر شعور لأنه عنوان الحياة النفسية بما اشتملت عليه من
مشاعر يملئها الفؤاد على القلم قسيل شعرا على القرطاس وتتداولها ألسنة
الناس - وأرق الشعراء شعرا أرقهم شعورا .

(٣) الشعر حقيقة وخيال ، فشعر الحقيقة شعر الحكمة والعظة
والأمثال ، - وإن من الشعر لحكمة - وشعر الخيال فيما عداها فتوثب
النفوس إليه كما توثب للصور الحسية الرائعة يد المصور الماهر . في العابر
والغابر ، والخيال أداة التصوير الشعرى - كما أن الألوان والذوق والرسم
أدوات التصوير الحسى . فالشعر بخياله صورة تتكلم أو كلام يصور .
وقد يفوق الشاعر المصور بالخيال البارع فقد يمثل لنا بكلمة مشهدا
لا يستطيع تمثيله مصور ألف بين الألوان وأمعن في الأجادة كل الأمعان
ولو كان روفائيل أمهر المصورين . وقد تلبس الحقيقة ثوب الخيال كما
يلبس الخيال ثوب الحقيقة .

(٤) الشعر منطق لأنه إذا لم يكن موزونا بميزان العقول كان كلاما
هراء متافرا . والشعور والخيال قد يشردان إذا لم يكن العقل رقيباً عليها
ليخفف من غلوائهما ويكبح من جماهما . وما أصدق قدماء اليونان إذ
صوروا الشاعر في مركب يقوده جوادان جاحنان هما الخيال والشعور
وقد جعلوا أعتهم في يد العقل أى المنطق ليكبح من جماهما وإلا هوى
بالشاعر إلى الهاوية . ويا لتعريف الشعر بأنه الفلسفة تحمل زهرا . وإن

شدت قفل الشعر زهر في أفنان الفلسفة (وهي الحقيقة الواضحة المؤيدة.

بالحجة الدامغة) فالمنطق يعصم العقل من الخطل كما أن علوم اللسان

ولا سيما النجو تعصم اللسان والبراعة من الخطأ في أساليب البيان.

وآية المنطق أنك تنثر القصيدة ثراً مرسلًا بعد قراءة لك لها فلا تزيد

على أصلها ولا تنقص عنه فإذا سائر منشور القصيدة العقل كان قائلها

شاعراً منطقياً وإلا فهو يهرف بما لا يعرف وكثير من أدبائنا ونقده الأدب

قديمه وحديثه قد عنوا بالمباني نقدا والمعاني يعدونها عدأ ولم يؤلفوا بين

أجزائها طريقاً حتى يظهر لهم أنه معبد أو مقعد خفي عليهم ركن من أركان

الأدب ودعامة من دعائم النقد وهو العقل الذي إن لم يكن أقواها فليس

دونها قوة وخطل العقل في التفكير أهون من خطأ اللسان في التعبير.

وقد رأيت أن أبدأ شعراء دار العلوم بشاعرها الأول حفي ناصف

بك رحمه الله سنة ١٢٧٢ - ١٣٣٧ هـ = ١٨٥٧ - ١٩١٩ م على

منهجي السابق وقد ترجم حياته الوسيط لأستاذي الفاضلين الشيخ أحمد

الأسكندري والشيخ مصطفى عناني ويشرفني أن أكون من أعلم الناس

بأدبيه أدب نفسه وأدب درسه، لأنني من أبنائه المتأدين بأدبه في الجامعة

المصرية سنة ١٩٠٩، ١٩١٠ ميلادية.

وقد رأيت قد شعر في أغراض شتى من غزل ورثاء ووصف وشكوى

الحال إلى غيرها وأجترى في هذا المقال بعرض نموذجين من غزله العفيف

في لفظه الشريف ثم أكشف عن سحر مبانيه ودقة معانيه ورقة شعوره

وحسن تخيله ونضج منطقته وهو استاذ اللغة والمنطق والأدب وفيها قد

ألف وما استهدف - قال رحمه الله وهو مصطاف بأربة للاستشفاء -

(١) النموذج الأول على البحيرة « جنيف في سويسرة »

سل المهاين إفيان ولوزان ماذا فعلن بقلب المغرم العاني (١)
إذ كن في الفلّك كالآقار في فلّك يشرفن فيه على ألعاب نيران
فكم من الأرض سهم للسماء وكم سهم تسدّد لي من تحت أجفان
يغلو البحيرة من نيرانها شر كزفرتي حين يجرى مدمعي القاني
يذهبن بالفلّك أيماناً وميسرة فيها ويطربن من توقيع ألحان
سرب يغنين بالآفواه مطربة وثلة برّابات وعيدان
والورق في الشاطئ الأدنى تجاوبها تبدى أفانين شدو بين أفان
(ب) النموذج الثاني « عيون وعيون »

أرجعوا لي يا غيد مارمباد مهجتي قبل عودتي لبلادي (٢)
إنني قد شددت رحلي وأهلي في انتظارى فأطلقوا لي فؤادي
ليتني لم أزر حماكم فاني في هواكم أضعت كل رشادي
وبراني الضنا فصارت ثيابي فوق جسمي كضرب ذي عباد
وأأتاني السقام من حيث أبغى صحة وانهزمت قبل الجلاد

حدثوا أن في حماكم عيوناً تذر الناس ضامري الأجساد
صدقوا إنها عيون ولكن كحلت منذ خلقها بسواد

جنّوني ذكر العيون فقلبي في ارتعاش من فعلها وارتعاد
فهى كالكهرباء توبى بلحظ فتدق الأجراس في الأكباد

(١) إفيان ولوزان مدينتان على بحيرة جنيف بسويسرة - المها البقر الوحشي مفردة -
مهة - العاني الأسير المعذب (٢) مارمباد مدينة في النمسا شهيرة بمياهها المعدنية -
الحارة التي يستشفى بها البادن فيخف جسمه في غير إجحاف .

عِلْمُ التَّربِيَةِ

بين القديم والحديث

في التربية والتعليم

بقلم حضرة الأستاذ عبد الحميد حسن

المفتش بوزارة المعارف

في عالم التربية والتعليم كلمات جرت بها الأقلام ورددتها الألسنة ،
فلات جو كثير من الممالك وانتشرت حتى وصل صداها الى أسماعنا .
ومن تلك الكلمات « التربية الحديثة » ، و « الطرق الحديثة » ، و « الاتجاهات
الحديثة » ، وغيرها . فما هذا النظام الحديث في التربية ؟ وما أصوله ؟ وما
غاياته ؟ وما وسائله ؟ وما أثره ؟ وما نصيب مدارسنا منه ؟ لعل هذه
الأسئلة أو شبهها مما يجول بخاطر كثير من المتصلين بالتعليم . وقد يعجب
بعضهم أن يكون هناك مستحدث في التربية وطرق التعليم بعد طريقة
هربرت ذات المراتب المعروفة التي تنفذ من عهد بعيد تنفيذا دقيقا في
جميع مواد الدراسة ؛ وبعد كتابة الدروس في مذكرات تحيط باطرافها
وتضم من المادة العلمية الشارد والوارد ، ولا تغادر صغيرة ولا كبيرة
عما سينطق به المعلم في الدرس إلا أحصتها ، وبعد إجهاد المعلم نفسه في
اللقاء والشرح مما يملأ به أسماع التلاميذ وهم جلوس لا يطرقون ،
وبعد هذه الطريقة الاستنباطية أو شبهها التي تذكر الامثلة أولا ثم
تدون النتائج والقواعد بعد مناقشة طويلة أو قصيرة ، وبعد استخدام
الصور ذات الألوان والرسوم ووسائل الايضاح التي تمثل مناقير الطيور

ومخالبها، وأشكال الحيوان وأنواع النبات، التي يفيض المعلم في شرحها ووصف وقائعها، وبعد هذه المناهج التي لم تترك من العلوم فرعاً إلا حاولت أن تنافس واضعيه وكبار المؤلفين فيه. فهل بعد هذا مستحدث؟ وهل وراءه من جديد؟

قد يجول بالخطر شيء من ذلك أو نحوه. وكل هذا يدل على حقيقة ماثلة وهي أن هناك اتجاهين متعارضين هما الاتجاه الحديث والاتجاه الحال الذي تسير عليه نظم التعليم عندنا

فلتقف من هذين الاتجاهين موقف الشرح والوصف ثم نحتكم إلى الأصول التي سادت والحقائق التي ذاعت في التربية لنصل إلى حكم صحيح (١) أما التعليم في نظامه الحال واتجاهه السائد الآن فيتضح حينما نستعرض ما تسير عليه المدارس من وجوه أربعة وهي: المعلم، والمتعلم، والمناهج، والغاية المنشودة

(١) فأما المعلم فقد رسم له الطريق وحددت له الغاية وهي أن يعد دروسه واحداً بعد الآخر على حسب المنهج وأجزائه ثم يتقدم بأساليبه المختلفة فيستعرض بضاعته على الأسماع، أو على الأنظار أحياناً، مستعملاً من ذلاقة اللسان وقوة البيان ما وهب له الله. ولا يزال كذلك حتى يثبت الحقائق في العقول ثم يطالب التلاميذ بالاستذكار والاستظهار استعداداً للاختبار المتتابع في مظاهر شتى شفوية وكتابية، وارتقاباً لليوم المشهود وهو يوم الامتحان العام (الذي يكرم فيه المرء أو يهان) كما يقولون

والمعلم في كل هذا هو الذي يقوم بالعبء التعليمي أو التلقيني وهو البوق الذي يذيع الحقائق وهو المنبع الذي يفيض المعارف وهو الفعّال لما يريد في كل المواقف وهو الذي يقود الأفكار ويصرفها كما يشاء

على أنه يحمل بنا ألا نفسى أنه يتحمل فى كل هذا من الصغاب ما يضيق ومن المتاعب ما ينهك جسمه ويضعف نظره ويفت فى قواه إن كان من المعلمين المخلصين

ولعل ما يناله من عناء لا يقل عما يصيب التلاميذ وعما ناله السبورة فى حجرة الدراسة من محو وإثبات ، وعما ناله الأوراق والمحابر والأقلام من عمل فى التدوين والإصلاح . كل هذا فى سبيل الواجب التعليمى الذى يبذل المدرس جهده فى إتمامه ويتابعه التلميذ فى التهامه ، هذا الواجب الذى يرمى إلى حشد الحقائق ونقشها على صفحات العتول لتحقيق المثل المعروف « التعلم فى الصغر كالنقش على الحجر » حتى يصبح التلميذ جعبة تفيض بدرر الألفاظ وساخة تموج بذخائر الحقائق .

(٢) وأما التلميذ فحسبه أن يجلس فى حجرة الدراسة ساكناً خاضعاً للنظام يستمع لما يفوه به العلم ثم يتأبط من الكتب والكراسات فى آخر اليوم المدرسى ما يتوء بحمله ليستذكر ما سمع ويسطر الاجابة عن الواجبات المختلفة التى تستفد مابقى له من ساعات اليقظة وتطغى على ساعات راحته ورياضته . وهو فى كل هذا أشبه بجهاز يتلقى ويتقبل مرغماً ، أو أسطوانة مرنة تطبع عليها الدروس شتاء حتى إذا تغير الجو وجاء الصيف تغيرت المعالم فطمست الألفاظ وذهبت المعلومات فى طيات هذه العجينة التى صنعت منها الأسطوانة . ولا يعلم أحد ماذا تركت هذه الدروس من أثر فى تكوين التلميذ وثقافته وإعدادة للحياة . ولكن الذى نعلمه والذى يحس به التلميذ نفسه هو أنه فى المدرسة بمنزلة عن الحياة التى يشواق إليها وعن العمل الذى يتحرك له قلبه ويتخرق موله وغرائزه شوقاً إليه .

(٣) وأما المناهج فحسبك أن تعلم انها كتاب مرقوم تتلى صفحاته

في أيام معلومة من السنة الدراسية حتى إذا انتقلت من مدرسة إلى أخرى في أطراف القطر فإنك ستسمع الشيء نفسه يتلى على التعاقب فيخيل إليك أنه رواية يطاق بها وتمثل فصولها أينما حللت وكأن ما يعرض من فصولها ومناظرها في إحدى البيئات لا يجوز أن يتسرب إليه التغيير بل يجب أن يلقى بنصه في البيئات الأخرى، على ما هنالك من اختلاف في المظاهر والمناظر والمطالب والاستعداد

(٤) وأما الغاية المنشودة فواحدة وهي امتحان تتسابق فيه الأقلام وتبارى النسب المئوية، والفوز لمن ضرب بسهم في الأرقام العالية والدرجات العددية الرفيعة. أما القدرة الصحيحة والميول الفطرية والمواهب الكامنة والحياة نفسها والاستعداد لها والاتصال بها وتحقيق ما تنشده فلم ينل شيء من هذا حظله من العناية وليس له في ميادين التعليم نصيب.

هذه هي الحال السائدة في التعليم. والظاهرة البارزة فيها هي أنها أغفلت عاملين أساسيين هما الطفل واستعداده وميوله ونشاطه ومطالبه ثم الحياة والاستعداد الصحيح لها.

(ب) فننظر بعد هذا إلى مطالب التربية الحديثة واتجاهها وغايتها: نسمع الآن بكثير من الطرق الحديثة مثل طريقة «دالتون»، و«المشروع»، و«دكرولي»، و«وينتكا»، ونسمع أيضاً بالنشاط الذاتي وضرورة استخدامه وتغذيته، و«بالمشكلة» التي ينبغي أن يدور حولها التعليم وتوجه جهود المتعلم لحلها، وبأن النشاط يجب أن يكون موجهاً لغاية تصوب نحوها الرماية. نسمع بهذا وبكثير من مثله. ولسنا نزيد الإفاضة في شرح كل هذا فميدانه واسع ولكل طريقة أو فكرة من هذه

قواتها الخاصة بها ودعائها التي تركز عليها.. ولكنها كلها أو معظمها ترمى إلى غاية واحدة وتلتقي في ساحة واحدة وتصطبغ بصبغة واحدة وتسير في اتجاه خاص هو الذي يميز التربية الحديثة ويطنعها بطابع تنفرد به عن القديم.

(١) وأول هذه الدعائم أن تكون المدرسة حياة ينمو فيها الطفل نمواً طبيعياً، ولا يتحقق هذا إلا إذا كانت المدرسة صورة صحيحة للحياة وللبيئة التي تحيط بالطفل قوامها الأعمال الحيوية المختلفة التي تثير الاهتمام وتوقظ النشاط وتدفع الأطفال إلى مواجهة الحياة وحل مشكلاتها ولا ينكر إنسان أن الحياة العملية وما فيها من مشاكل ومعضلات وما يفيد الفرد فيها من خبرة وتجارب، وما يصادف من أسباب لها نتائجها وتنتائج تتطلب معرفة أسبابها، وما يقوم به من أعمال تتطلب بذل الجهد وإرهاق الحواس، والتفكير في حل الصعاب، كل أولئك له الشأن الأول في إعدادة للحياة، فالحياة هي التي تعلم الحياة وهي التي تعد للحياة، ولنا في حاجة إلى دليل على هذه الحقيقة فهو على ألسنة الجميع من المعلمين، وهم يقررون أنهم لم يدركوا للحياة ومشاكلها ومطالبها معنى إلا بعد أن أتموا الدراسة وخرجوا إلى الميدان العملي في الحياة فازدادوا خبرة على مرور الأيام بما عملوا وما صادفوا، وكلما ازدادوا تعمقاً في الاتصال بالحياة ازدادوا بها علماً ولها استعداداً

ولعل هذا القول يوجه نظرنا إلى الصلة بين المدرسة والحياة، ويجعلنا نتساءل عن قيمة المدارس في إعداد الفرد للحياة إذا كانت الهوة بينها وبين الحياة الحقيقية سحيقة إلى هذا الحد، فالمدرسة إذا بعدت عن الحياة الصحيحة الخارجية كان محالاً أن تعد للحياة وكان الوقت الذي يقضيه فيها المتعلم قليل الجدوى، اللهم إلا إذا غيرنا الحقائق الثابتة وهي أن الغرض

من المدارس ومن التربية هو الإعداد للحياة ، ورسمننا للمدارس غاية أخرى لا يقول بها المربون الآن

ولننظر إلى مدارسنا ، أهى صورة من الحياة التى يجب أن يحياها التلاميذ ؟ لا إخال الجواب إلا سلبياً ، فهذه القيود الدراسية والمواد التى لا تدور حول محور من حياة الطفل ولا تربطها أو اصر الصلة ، وتلك الجدران التى تحول بين التلميذ والحياة ، وهذه المقاعد التى تشل الأجسام وتقيد العقول ، وهذه الدروس النظرية الإلقائية المتتابعة ، وتلك الطرق السردية أو الحوارية التى يدير المعلم رحاها ، كل هذا إنما هو عمل صناعى وليس هو الصورة الصادقة للحياة

وإن تحقيق القاعدة التى نحن بصدها وهى جعل المدرسة حياة أو صورة منها يستدعى أن تكون المناهج مقتبسة من الحياة جارية على نهجها وأن تكون المواد الدراسية وحدة متماسكة دائرة حول الحياة ومظاهرها ومشاكلها مما يألف الطفل وما يعمل لو وسع له المجال ، وأن تكون طرق البحث والدرس والعمل هى الطرق التى يسلكها الناس فى حياتهم ويشتاق الأطفال لتنفيذها ، فهل حققت مدارسنا شيئاً من هذا ؟ ترك الجواب لمن يود أن يحجب

(٢) والدعامة الثانية : هى الالتجاء إلى النشاط الذاتى للأطفال وإلى دوافعهم الباطنية فهى القوة الفعالة فى النمو الصحيح ، فينبغى فتح ميادين العمل أمامها حتى تنال الغذاء الصالح وتنمو نموا ذاتيا طبيعيا

وهذا النشاط شبيه بما فى البذور النباتية من حياة كامنة واستعداد للنمو والإثمار ، ولا يتطلب هذا الاستعداد إلا أن نغرس البذور فى التربة الملائمة ثم نمدّها بالماء فى فترات خاصة لتستعين به على امتصاص الغذاء حتى تتفتح وترعرع وتثمر ، وكذلك نشاط الطفل فى حاجة إلى أن نمهد

له البيئة الصالحة وأن ندعه يحصل ما ينفعه من غذاء فيما يحيط به ويعمل بنفسه على تنمية قواه وإنضاج مواهبه وشحن عقله ، والجو الذي ينمو فيه هذا النشاط ليس هو الحجرات المقفلة الخالية من مظاهر الحياة ، ولا هو هذه الدائرة المدرسية الضيقة الضائلة فيما توخى من أغذية للنشاط ، ولا هو هذه الحياة الجلوسية التي ترهف فيها الأسماع وترهق العقول والأجسام من الإصغاء الممل الذي لا يوافق حياة الأطفال ولا يستثير نشاطهم ولا ينال منهم إلا إغراضاً ونفوراً . ولكنه هو الحياة الصحيحة بما فيها من عمل وتعاون وحركة ونشاط وتبادل أفكار إلى غير ذلك مما هو من مظاهر الحياة العمالية ، ومما له أعظم الأثر في تكوين الفرد تكويناً تاماً نافعاً .

(٣) والدعامة الثالثة : أن يكون عمل التلميذ وبحته وجهوده موجهة نحو غاية ، وأن يشعر الطفل بأن هناك غرضاً يرمى إليه ومرمى تسوقه نفسه إلى الوصول إليه ومشكلة يجب أن يتجه الجهد نحو حلها ، وهذا الغرض يجب أن يكون وليد تفكيره وحاجاته ، ولا ينبغي أن يدفعه المعلم دفعا للسير وراء غايات لم تتجه إليها نفسه وليست وليدة الحاجة التي تجول بخاطره ، فإن ما يجول بخاطر المعلم من الغايات ليس من الضروري أن يصلح حافزاً لنفس الطفل أو مشيراً لنشاطه ، وغايات المعلم كثيراً ما تكون مقتبسة من الكتب وخاصة للنهائج وأجزائها أو لنظم مدرسية لا تتمشى مع عقل الطفل ولا توافق نفسه .

أما حمل الطفل على أن يسير إلى غير غاية مفهومة لديه أو لغاية لا يدرها فإنه لا ينتهي بقائدة فهو أشبه بسير الهائم على وجهه في بيداء ، أو المسوق قهراً عنه لا يشعر بدافع نحو العمل ولا يلبث أن تتصرف نفسه عنه ، وإذا سار فيه فإنما يسير مرغماً طوعاً وللأوامر المدرسية ، ولا يكون لعمله أثر نافع .

وإن ما نقصده هنا إنما هو الغرض الذى يؤتم أمام التلميذ أو يرسمه هو لنفسه ولا نريد ذلك الغرض الذى يرمى إليه المعلم ويسطره بغض الطلاب فى مذكراتهم ويقسمونه قسمين خاص وعام ثم يطبقون ويسمونه ويبالغون فى تمييقه فى غير فائدة . فالغرض هنا هو الحافز وهو الموجه وهو الباعث على الابتكار والتفكير فى حل المشاكل . وهذا هو الذى يشعر به كل عامل فى الحياة

(٤) والدائمة الرابطة هى الحرية التى يجب أن يشعر بها الطفل فى عمله وتفكيره ونشاطه ، فإننا إذا ضدنا حرية الأطفال فقد شلناهم وهم وأخذنا نفوسهم وكتبنا دوافعهم الباطنية ، فالحرية هى الميدان الصالح للنمو الصحيح

هذه هى طائفة من أهم الدعائم التى تركز عليها التربية الحديثة ، وإنك لترى فيها ظاهرة بارزة وهى أنها مثال للحياة الصحيحة ، فالمدرسة حياة وثيقة الاتصال بالحياة الحقيقية ، حياة تحفزها الغايات التى تتجه إليها النفس رغبة راضية مطمئة ، حياة أقل ما فيها أنها تعد للحياة أو بعبارة أدق هى لون من ألوان الحياة ومرحلة من مراحلها يقضيها الأطفال فيما لا تريد أن نسميه مدرسة إلا ارتضاء لما جرى عليه العرف بل نسميه ميداناً من ميادين الحياة .

لستنا بعد نكمل هذا فى حاجة إلى أن نفاضل بين التربية الحديثة وبين النظام التعليمى السائد فى مدارسنا فالرجحان واضح

على أن القارىء إذا أراد أن يحتكم إلى شئ يزداد به اطمئناناً فإننا نحتكم معه إلى حكم لا يجادلنا فى أنه الحكم الذى ترضى حكومته . وذلك هو معنى التربية والغرض منها ، ولا يجادلنا القارىء أيضاً فى أن هذا يتركز

في كلمات ثلاث وهي «إعداد الطفل للحياة» فغنى التربية هو إعداد الطفل للحياة، والغرض منها أيضا هو إعداد الطفل للحياة، أو بعبارة أمثل وأبعد عن التحكم في الطفل، هو تمكين الطفل من الاستعداد للحياة. فالطرق الحديثة ودعائمها وقواعدها كامنة في هذه الكلمات الثلاث وهي «الطفل»، «الحياة»، «والصلة بينهما» وهي إعداد الأول للثانية. وتحقيق هذا الغرض يتطلب مراعاة الطفل والالتجاء إلى الحياة في تنميته وتمكينه من الاستعداد لها، وكل هذا يستلزم أن نجعل الحياة هي المدرسة أو المدرسة حياة، وأن نلجأ إلى الطفل فنعرف ميوله ودوافعه النفسية، والأغراض التي تجول بخاطره وتحفز به إلى العمل، وإيضاح هذه الكلمات بإسهاب ينتهي بنا إلى ما أجهلنا.

إخالك أيها القارىء قد اطمأنتت أو ازددت اطمئناناً بالطرق الحديثة وبأن أثرها أقوى وأقوم من وجوه شتى. فماذا نحن فاعلون بعد هذا؟ وماذا عسى أن يعمل المعلم؟ وأي طريقة من الطرق الحديثة يتبع؟ والجواب على هذا هو أن اتباع طريقة بعينها ليس إلتقيدا والتقليد ليس الطريق المأمون، وأجل منه وأمثل أن نرجع إلى الدعائم الأساسية الكامنة في ثنايا الطرق الحديثة فنبنى على قواعدها الطريقة الملائمة لحياتنا وبيئتنا، الموافقة لنظامنا ومطالبنا، فإذا صحت العزائم على تنفيذ هذا، فالسبيل واضحة والطريق مهد قويم؟

قضية الأطفال

لحضرة الأستاذ زكي المهندس

أستاذ التربية بدار العلوم

نعم هي قضية ولكنها ليست من هذا الطراز الذي ألف الناس أن يقرءوه في الصحف أو يتنادروا به في مجالسهم ويسمروا به مع رفاقهم بل هي قضية لها شأنها وخطرها، ولها أثرها البعيد في حياتنا جميعاً كأباء ومعلمين. وما ظنك بقضية تتناول مئات الألوف من أحداث مصر؟ بل ما ظنك بقضية يتوقف على الفصل فيها حياة الجيل المقبل بأسره؟ أليس أطفال اليوم هم شباب الغد ورجال المستقبل؟ تلك القضية هي التي سأحدث إليك فيها

في مثل هذه الأيام من العام الماضي قامت وزارة المعارف بتغيير واسع النطاق في منهاج التعليم الثانوي. فتناولته بالحذف والتحويل ونقل بعض المواد أو الموضوعات الدراسية من سنة إلى أخرى. وقد حمد لها الشباب المتعلم هذا الصنيع، واليوم تقوم الوزارة بعقد اللجان المختلفة لدراسة المنهاج الابتدائي تمهيداً لتغييره كذلك

وإن تلك الطفولة البريئة الظاهرة التي تزخر بها مدارسنا الابتدائية لتغبط أشد الإغباط إذ تلقى اليوم بقضيتها في اطمئنان وثقة بين جمع من ذوي الكفاية الممتازة والخبرة الناضجة من أهل التعليم والتشريع مؤملة أن تجد في حضراتهم خير مدافعين عن حقوقها، وهي لا تبغى شيئاً أكثر من أن يسمح لها بأن تستمتع بتلك الحياة الطيبة الخصبة تلك

الحياة الواسعة الباسمة الحرة البريئة : تلك الحياة التي أبت المدارس بنظمها الجامدة وأساليبها المصطنعة ومناهجها المكتظة الحافلة وامتحاناتها المتوالية إلا أن تحولها إلى حياة عابسة راكدة مجدة ضيقة ذهبت بنحير مافي الطول ولت من مزايا وتضت أو كادت تقضى على مامنته الطبيعة من مواهب .

إن سنة ١٩٢٥ تعتبر بحق حداً فاصلاً بين عهدين من عهد التعليم في مصر فقد بدأت في تلك السنة نهضة تعليمية لم تكن في شدتها وعنفها بأقل من ثورتنا السياسية . كلنا يذكر أن النظام التعليمي القديم كان يرمى في مجموعه إلى صوغ آلات تسخر للحكومة ولا تصلح إلا لمكاتب الحكومة ولقد كان الجزع يتولانا أحيانا واتفاق يساورنا دائماً كلما ذكرنا مصير أبنائنا وولادات أبادنا فلم يكن غريباً - وقد أصبحنا أحراراً في تدبير شؤوننا - أن نشور على هذا النظام العتيق الذي تعلمنا في ظله وفي كنفه نصف قرن كامل ، على أن ثورتنا في هذه الناحية التعليمية لم تكن وليدة يومها ولا بنت ساعته وإنما كانت تعبيراً صادقاً عما كنا نحسه ونألم له ونخشى الخوض فيه هاجمنا هذا النظام القديم من جميع جوانبه ونواحيه ، هاجمناه في خططه ومناهجه وطرائقه وأساليبه ، هاجمناه في غاياته ووسائله وفي جميع مراحله ، هاجمناه في كل ذلك في غير رفق أو هوادة ، ولكن الذي لا يسع كل إنسان إلا أن يلاحظه ويأسف له ، هو أننا ظلمنا نجهد عشر سنوات كاملة في تجارب تعليمية من كل صنف ثم لم نظفر بعد تلك الجهود التي بذلناها بنتائج تطفئ إلهام قلوبنا ، وترتاح لها نفوسنا ، فلما نهج بتغيير اليرم كما تغيرت بالأمس وقبل الأمس ، وكما تغيرت في سنة ١٩٢٥ ، وكما نخشى أن تتغير غداً وبعد غد إن أخطأنا التوفيق في كشف العلة واستئصال الداء .

نحن أول من يدرك أن حياتنا تطورت في جميع مناحيها تطورا يتجاوز في طبيعته ومدها ما كان يحلم به أصدق الكتاب فريسة وأبعدهم نظراً ،

ونحن أول من يدرك كذلك أن القائمين على شئون التعليم ييغون اليوم من تغيير المناهج - كما كانوا ييغون دائماً من كل تغيير سابق - أن يستحدثوا نوعاً من التعليم يسائر حاجات البلاد ويلائم ما تطمح إليه الأمة من مقاصد وما ترمى إليه من آمال ، نحن ندرك هذا وؤمن به ، ولكننا يجب أن نسلّم بأن اختلاف الطرائق وتشعب المسالك ، وتعدد الأساليب لتحقيق هذه الغاية المرجوة تدأفضى كل ذلك إلى شيء من الإسراف في جهود رجال التعليم كما أدّى إلى شيء من الاضطراب كان له أثره في عمل المعلم والمتعلم كليهما .

حسبك أن تجوس بذّا كرتك خلال السنوات العشر الماضية لتدرك أن جميع من تولوا مقاليد الوزارة وهيمنوا على التعليم كانوا دائماً جد حريصين على وضع سياسة تعليمية ثابتة ، ولكنهم كانوا يعملون على تحقيق هذه الغاية بطرق مختلفة وأساليب شتى ، فقد كانت اللجان تؤلف أحيانا من رجال الديوان وحدهم ، وأحيانا يضم إليهم بعض المتصلين بالمدارس عن كسب من نظار ومدرسين . وآونة يشترك مع هؤلاء جمع من ذوى الكفايات الفنية والثقافات العالية ، وإن نفس لانفس ذلك المؤتمر الحاشد الذى جمعه وزير المعارف السابق ، فقد كان قوامه كبار رجال التعليم ومديرى المصالح الفنية فى مصر ، ومدير الجامعة وعمدها . هذا إلى عدد كبير من القائمين على التعليم فى المدارس الأجنبية ممن لم تطأ أقدامهم شارع الطرقة الغربى غير مرة واحدة كانت هى الأولى والأخيرة . لم يكده هذا المؤتمر يجتمع حتى تفرق ولم يكده يتفرق حتى أصبح - كما قال النحويون - فى خبر كان ليس له ذاكه إلا تأويل واحد ، هو أن العلة ما زالت كامنة والداء ما قى دفيناً فى بعض القواحي من نظامنا التعليمى ، وأن جميع ما قننا به من تجارب وكل ما أدخلناه من ضروب التبديل ، وما استصدرناه من لوائح

وقوانين ومنشورات قد عجز إلى الآن عن كشف العلة واستئصال الداء
أو عجز على الأقل عن تدبير الدواء الصالح
هذه ملاحظات عامة نسوقها بكل تواضع لتكون بمرأى من حضرات
السادة أعضاء اللجان لعلمهم واجدون فيها ما يضيء السبيل أمامهم ولكننا
نتحدث هنا عن قضية الأطفال

أما أن التعليم الابتدائي لا يزال في حاجة إلى تغيير واسع النطاق فما
لا يختلف فيه رجال التعليم، ولكن أين موطن العيب في هذا النوع من
التعليم؟ وإلى أي النواحي يجب أن نولي وجوهنا لكشف هذا العيب
وعلاجه؟ فهل الفكرة العامة التي تسيطر على تعليم النشء الصغير خاطئة
أو قاصرة، أو أن أعمال التعليم نفسها عاجزة مقصورة؟ هل العيب واحد
من هذين الأمرين أو هما جميعا، أولا هذا ولا ذاك بل هو التنافر وعدم
الانسجام بين المبادئ والأعمال؟ أليس من المحتمل أن تكون علة الضعف
هي الامتحانات والعناية بها والإسراف فيها، أو هي المناهج وما تحمله من
مسائل لا تسفيها تلك المدارك الفجة ولا تحتماها تلك الكراهل الصغيرة
الليثة، أو هم المعلمون وطرائقهم وأساليبهم، أو النظم المدرسية العامة، وما
هي عليه من شدة أو لين؟ نقول أليس من المحتمل أن يكون واحد من
أولئك أو تكون كلها أو بعضها موطن الضعف وعلة النقص في تعليم
هذا النشء الصغير؟ كل هذا جائز محتمل ولكنه يعنى أن الشروع في
أي تغيير مهما كان نوعه لا يمكن أن يفيد الفائدة المرجوة ما لم تعرف
الداء في مواطنه وتحسسه في مظاهره، أما أن تقتصر أعمالنا على تغييرات
جزئية من حذف مادة وإضافة أخرى أو «ترحيل» موضوع أو جزء
من موضوع من سنة إلى سنة سابقة أو لاحقة فكل ذلك لا يعدو أن يكون
من باب التخفيف أو التسكين المؤقت. ولكنه لا يؤدي بنا إلى تلك الغاية

التي نشدها جميعاً من إقامة نظامنا التعليمي على أساس ثابت مكين
 ويخيل إلينا بل نكاد نجزم بأن الفكرة العامة المسيطرة على التعليم
 الابتدائي هي موطن الداء وأُس البلاء، نعم هي الفكرة العامة التي تحتاج
 إلى إعادة النظر قبل أن نشرع في تعديل المنهاج، فما الأساس الذي كان وما
 زال يقوم عليه منهاج المدارس الابتدائية في كل تعديل سابق؟ ما الغاية
 التي نرعى إليها من التعليم الابتدائي؟ جميع رجال التعليم يجيئونك من فورهم
 بأن غاية هذا النوع من التعليم «إعداد الأطفال للدارس الثانوية» وقد
 يردفون جوابهم هذا بأن نحو ٨٥ ٪ ممن أمموا المرحلة الابتدائية يقصدون
 إلى المدارس الثانوية ولا ييغون عنها حولاً، أو على الأقل كانت الحال
 كذلك من بضع سنوات قبل انتشار المدارس الصناعية، ومن ثم كان كل
 تغيير يراد إدخاله على منهاج الابتدائي يجب أن يجري في ضوء هذه الفكرة
 وفي حدودها فإذا لاحظت أن منهاج التعليم الثانوي قد عدل في العام
 الماضي وحدد مبدؤه ونهايته وعرف أوله وآخره وإذا لاحظت كذلك
 أن من الواجب — كما أشار معالي الوزير في خطبته يوم عقد اللجنة —
 أن نحكم الربط بين مرحلتى الابتدائي والثانوي وتؤكد الصلة بين مناهجيهما
 إذا لاحظت ذلك كانت النتيجة الطبيعية التي لا مفر منها والتي لا نجد عنها
 محيصاً هي أن الطفل في هذه المرحلة الابتدائية يجب أن يلم بمختلف المسائل
 والمواد والموضوعات التي تؤهله للاستمرار في الدراسة الثانوية، وإن
 شئت فقل إن منهاج الثانوي يجب أن يكون المسيطر على كل ما يعلم في
 الابتدائي فإن شاء وسّع من نطاقه وإن شاء نقص من أطرافه.

هذا هو الوضع الذي شئت التغييرات السابقة كلها أن يكون للتعليم
 الابتدائي فهو إعداد للتعليم الثانوي ويجب أن يلم الطفل فيه بما يؤهله للتعليم
 الثانوي وما دام منهاجه الثانوي قد حدد وعرفت مبتدأته فمن واجب التعليم

الابتدائي أن يزود الأطفال بما دون ذلك من حقائق ومسائل وموضوعات ليتسنى لهم الاستمرار في التعليم الثانوي، فهل تعجب بعد ذلك إذا شعرنا كما تشعر الوزارة نفسها - بأن منهاج هذا النوع من التعليم مازال يحمل من الموضوعات والمسائل ما لا يتفق هو ومدارك الأحداث؟

ماذا يصنع واضع المنهاج إذا كانت فكرة الإعداد للدارس الثانوية لا تبرح خياله؟ ماذا يضع وماذا يدع إذا كان يعمل تحت تأثير الإعداد للدارس الثانوية؟ هو لا يفكر في هذه المرحلة التي يضع لها بقدر ما يفكر في المرحلة التي تليها، هو لا يفكر في الطفل ولكنه يفكر في الشاب الذي سينتهي إليه الطفل بل هو يحرص على أن يسرع بالطفولة إلى دور الشباب ويعجل بها إلى تلك الحياة التي تنتظرها والتي لا بد ستحيها إن عاجلا أو آجلا.

هذه واحدة ولكنها لا تعبر - كما يقول الانجليز - إلا عن نصف الحقيقة فاسمع الباقي، كيف نظمنا إلى أن أطفالنا قد ألما ما كافيًا بتلك الحقائق والموضوعات والمواد التي تهيئهم للتعليم الثانوي وتجعل استمرارهم في تلك المرحلة المقبلة ممكنا ميسورا؟ جواب ذلك واضح بسيط. الامتحانات !! امتحانات شهرية، امتحانات سنوية، امتحانات شفهية وتجريبية، امتحانات تجريبية، امتحانات كلها حضر مفتش أو ألم بالمدرسة مراقب، امتحانات كلها أراد الناظر وهو لا يريد إلا الامتحانات، ولا يعمل إلا للامتحانات، امتحانات حيثما حللت وأينما ذهبت وقد سرت عدوى الامتحان إلى ما دون المدارس الابتدائية من رياض الأطفال.

وزاد الأمر ضعفا على إباله الاعتقاد السائد بأن نتائج الامتحان مرتبطة بعمل المعلم أن خيرا أو خيرا وأن شرا أو شرا، وأن المعلمين يجب أن يذكروا أن الوزارة لا تتوانى في أخذهم بالتواصي والأندام إن ساءت نتائج

الامتحان وليس المعلم وحده بل نظار المدارس ومفتشوها ومراقبوها أيضاً فقد أصبح الجميع تحت رحمة الامتحان ونتائج الامتحان . الواقع أن رجال التعليم أنفسهم قد أصبحوا في حيرة من أمر هذه الامتحانات ، فهم مضطرون من جهة إلى مجارة سواد الناس فيما يرجونه لأبنائهم من توفيق في الامتحانات ، لكنهم يشعرون من جهة أخرى بأن عليهم تبعه شاقة نحو تعليم الأحداث تعليمياً ينمي مواهبهم ويهذب ميولهم ويعدهم للكفاح والمجادة في الحياة فهل من المستطاع أن نوفق بين الأمرين ونجمع بين الغائتين ؟ إن جميع التجارب والمشاهدات تدلنا من سوء الحظ على أن الجمع بينهما متعذر إن لم يكن مستحيلاً مادام نظامنا التعليمي يسير على النهج الذي رسم له حتى الآن ، فالظاهر أن العناية بالتربية والعناية بالامتحانات تسيران في اتجاهين متضادين أو تسيران على الأقل في خطين متوازيين يستحيل علينا أن نجمعهما في نقطة واحدة إلا إذا أدخلنا على أحدهما تعديلاً يخرج به عن نظامه وشكله وطبيعته ، ولقد بذلنا في سبيل ذلك جهوداً متصلة ولكن كفة الامتحان قد رجحت كل شيء وسادت كل شيء حتى أصبحت الشاغل الأكبر الذي تستهان فيه العزائم وأسرار الخصم اللهم وتناقض فيه جميع المدارس والهيئات التعليمية فانه كلما ذكرت التربية أو التعليم وثب إلى خيالنا النهايات الصغرى والكبرى والنسب المئوية للنجاح والرسوب ، أما الطفولة ومواهبها وحقوقها ، أما تربية المدارك وشخص الملاحظة واستثارة النشاط الذاتي في الأحداث . أما تغذية العواطف وتهذيب الخيال وتقوية الشخصية وبعث الشعور بالإنسانية فكل ذلك هباء في هباء ، كله عبث وباطل ومحال ، كله تلفيق من مبتكرات المربين وأوهام العلماء وأحلامهم ، ثم كيف تستطيع أن تحمل المدرس على العناية بشيء من ذلك وبين يديه منهاج حافل مشحون ، وسوط الامتحان يلهب

ظهوره ، وسيف العقوبة مضيت فوق رأسه .
 هذا هو الشطر الثاني من قصة التعليم الابتدائي وهل أنا بحاجة إلى
 أن أسجل هنا ما ترده السنة رجال التعليم فيما بينهم من أن مدارسنا قد
 أصبحت أشبه بمعامل للنجاح في الامتحان منها بمعاهد للتربية ،
 الواقع أن مشكلة التعليم الابتدائي تكاد تنحصر في أمرين لا ثالث لهما
 (أولهما) العناية باختيار نوع التجارب التي تقدم للأطفال في هذه السن
 الصغيرة .

(وثانيهما) الأسلوب الذي يجب أن يتبع في تزويد النشء بهذه
 التجارب ، فالتعليم الابتدائي يكون الشطر الأكبر من الطفولة ، ويجب أن
 يمتاز من بين مراحل التعليم الأخرى بهذين الأمرين ، لكن فكرة الإعداد
 للدارس الثانوية قد ذهبت بالأول على حين قضت الامتحانات والإسراف
 فيها على الثاني .

هذه صورة عامة بمحمة من عيوب التعليم الابتدائي لا يخلو من شك
 في أنها ستنال من عناية اللجنة أو في نصيب ، أما جوه الإصلاح فسأرجئها
 إلى العدد التالي إن شاء الله .



الرجل والمرأة

اختلافهما في التكون الجسدى وفى الاستعداد
والمواهب العقلية والخلقية

لحضرة الأستاذ حامد عبد القادر
وكيل كلية أصول الدين

(١)

إن الرجل لا يختلف عن المرأة من حيث كونه فرداً له مزاجه وطباعه
وسجاياه الخاصة فحسب ولكنه يختلف عنها أيضاً من حيث كونه رجلاً ،
كما أنها تختلف عنه من حيث كونها امرأة ، بل إن هناك فروقاً جسمية هامة
مشاهدة بين الرجل والمرأة ، وهذه الفروق الجثمانية تعد موازنة لفروق
عقلية ليست بأقل منها أهمية ، والمعقول أن يكون لهذه الفروق الجسمية
والعقلية آثار في السلوك .

وإن التاريخ الإنسانى ليبرهن لنا على صحة هذه النتيجة ، إذ أن
وظائف المرأة في الحياة لم تكن في يوم من الأيام مساوية لوظائف الرجل
وإن قانون الرقى المستمر الذى يعمل عمله في الحياة الإنسانية يدل على
أن الرقى لا يمكن أن يكون إلا بتوزيع الأعمال ، وتخصيص كل من
الجنسين لأعمال خاصة ، والتخصيص في الأعمال والوظائف يتبعه على مر
الزمن زيادة ظاهرة في التكون الجسمى ، فليس لنا أن نأمل التقارب
والتشابه الشديد بين الجنسين إلا إذا كنا نأمل أن تقترب من الحياة
الساذجة الأولى التى لم يكن فيها إلا قليل من توزيع الأعمال وتخصيص
بعض الأفراد لبعض الوظائف . وإنك لو بحثت لوجدت أن اختلاف

الجنسين ليس من الظهور بين الأمم المتوحشة التي هي بمعزل عن الحضارة كما هو بين الأمم المتقدمة .

هذا ولا تزال الحوادث التاريخية تبين لنا في عصرنا الحاضر على أن مساواة المرأة للرجل في الأعمال والوظائف تؤدي إلى انقلاب اجتماعي ، وقد يؤدي هذا الانقلاب إلى ثورة عنيفة ضد النظم والقوانين الاجتماعية ثورة لا يعلم إلا الله تعالى مداها وعواقبها . وليس هنا موضع الكلام على هذه الثورة ، ولا البحث فيما يمكنه لنا المستقبل من الانقلابات الاجتماعية الخطيرة ، ولكننا نريد أن نقول إن المشاهدات والتجارب قد برهنت على أن المرأة ليست كالرجل في الاستعداد الجسمي ، ولا في المواهب العقلية ولا في النزعات الخلقية .

(٢)

أما الفروق الجسمية التي بين الرجل والمرأة فواضحة جليلة ؛ إذ مما لا شك فيه أن المرأة لا تختلف عن الرجل في صفاتها الخاصة بالأنوثة فحسب ، ولكنها تختلف عنه أيضاً من حيث التكوين الجسمي والوظائف الجنائية في الجملة ، فهيكلا العظمي ليس كهيكله العظمي تماماً ، بذلك على ذلك أن الخبر بفن التشريح وعلم وظائف الأعضاء يستطيع أن يميز بقايا المرأة العظمية من بقايا الرجل مستنداً في ذلك إلى الفروق الدقيقة التي بين هذه وتلك . ومن المعلوم أن هناك فروقاً ظاهرة بين حجمه الرجل وحجمه المرأة . ومن الثابت بالتجارب أن مخ الرجل يختلف في شكله ووزنه وحجمه عن مخ المرأة . وكل منا يلاحظ أن البنت تسلك في نموها الجسمي طريقاً خاصاً ليس كطريق الغلام ، وأن لكل طريقاً خاصة في الحركات والسكنات والمشي والجلوس والوقوف والصوت ونبراتة ، ولهجة التخاطب إلى غير ذلك مما هو معروف مشاهد .

ولست بنا حاجة إلى الإسهاب في بيان الفروق الجسمية الجنسية ، ولكن يهمننا كثيراً جداً أن نوجه نظرك إلى ثلاث حقائق من الواجب العناية بها بنوع خاص ؛ لأنها ترشدنا عند وضع النظم والمناهج الخاصة بتربية البنت ، تلك الحقائق هي :

أولاً : أن البنت أضعف جسماً وأقل قوة من الغلام ، فليس لديها من النشاط العصبي المتوفر إلا جزء يسير لا يكفي لأن يعوض عليها ما عسى أن تبذله من نشاط في الأعمال العقلية الزائدة على طاقتها العصبية . ومعنى ذلك أننا إذا كلفنا البنت القيام بتلك الأعمال العقلية الشاقة المجهدة للمخ والأعصاب التي تكلف الغلام القيام بها فإنها لا تستطيع النهوض بأعبائها إلا إذا نهكت قواها الجسمية والعقلية وضحت بجزء كبير من صحتها العامة

ثانياً : أن الأعضاء التناسلية في المرأة تقوم بأعمال أشق مما تقوم به الأعضاء التناسلية في الرجل . ومن الثابت لدى العلماء بوظائف الأعضاء أن هناك علاقة متينة بين الجهاز التناسلي وبين الجهاز العصبي عامة والمخ خاصة بحيث إن إجهاد أحدهما يؤدي لا محالة إلى إجهاد الآخر ، فإذا طالبنا المرأة بأعمال عقلية مجهدة لقواها المخية العصبية مساوية لأعمال الرجل نشأ عن ذلك اضطراب في وظائفها التناسلية أعظم من الاضطراب الذي يحدث للرجل ؛ أي أن مقدرتها التناسلية تصير أقل من مقدرة الرجل في تلك الناحية .

ثالثاً : أن الاضطراب الذي يحدث في نظام الجهاز التناسلي ويقلل من قدرته على تأدية وظيفته يؤدي بالضرورة إلى ضعف في النسل . وإذا كان ذلك الاضطراب عاماً فإنه يؤدي دون شك إلى تدهور النوع الإنساني . وإذا أثقلنا كاهل المرأة وارهقناها وحملناها ما لا طاقة لها به من الأعمال العقلية ازداد اضطراب جهازها التناسلي وازداد تبعاً لذلك تدهور النسل وضعف النوع الإنساني .

(٣)

هذا من حيث الاختلاف في الاستعداد الجسمي ، أما الاختلاف في المواهب العقلية والنزعات الخلقية فليس بأقل ظهوراً ولا أقل خطراً فالمرأة تنظر إلى العالم متأثرة بوجودها أكثر من الرجل ، ومزاجها أقرب ما يكون إلى المزاج الانفعالي ولذا يشتد تأثرها بجمال الأشياء وتناسبها مع يئسها ، وتقل عنايتها بالآفكار المجردة . وإذا حاولت التعميم والوصول إلى قواعد كلية عامة فإنها لا تعنى بالتحليل والتحقيق والتدقيق والبحث العميق ، وهذا هو السبب في أنها تميل إلى التسرع في الحكم والخطأ في التطبيق ، وكراهة التحليل المنطقي العميق البعيد المدى الذي يصل به الرجل إلى القوانين العلمية الصحيحة يعد من أهم ما يمتاز به المرأة عن الرجل . والمرأة عملية أكثر منها فلسفية ، أما الرجل فيميل إلى النظريات ، ويجنح إلى التفلسف والتدبر والتفكير في العواقب ، فإذا رأى خطراً محدقاً به فكر في وسائل تجنبه وهو هادئ الفكر ورؤى بما اعتراه ألم وضجر ، وقد يثور أو يغضب أو يسب ويلعن إذا لم يصل إلى نتيجة مرضية . وأما المرأة فإنها تبكى وتصيح وتولول في وجه الخطر ، وقد يعثرها اضطراب عصبي يحول بينها وبين التفكير والتروى

ثم إن الرجل ينظر إلى أسرار الأشياء وبواطنها ، ويعتد بقيمتها الذاتية الحقيقية وحقائقها الواقعية ولا يغتر بظواهرها ، أما المرأة فتغرها الظواهر ، وتعجب بحسن المنظر وإن ساء المخبر ، فالجواهر الزائفة الحسنة الشكل المنسجمة الصوغ تقع لديها موقفاً حسناً وإن كانت قليلة القيمة في ذاتها . والرجل مستعد بطبيعته وقواه الجسمية إلى الزعامة والقيادة ، لقدرته على التصرف عند المواقف الحرجة ، وعلى الابتكار للخروج من المأزق بسرعة ومهارة ، أما المرأة فإنها لا تبلغ منزلة الرجل

في ذلك، وإن كانت تفوقه في الصبر والجلد، والقدرة على المقاومة، والسرعة في التنفيذ؛ ولذا يقال إن الرجل أكثر استعداداً للتشريع والابتداع، أما المرأة فأكثر استعداداً للتنفيذ، ومن ثم كانت الأغلبية الغالبة من القادة والمشرعين والمبتدعين من الرجال، ولم يعرف عن امرأة أنها برزت في عالم العلم أو ابتكرت آلة نافعة، والمرأة بصبرها وقوة وجدانها وحنوها وشفقتها مستعدة استعداداً طبعياً لأن تكون أما وطبيبة وممرضة وسلوة للرجل إذا حلت به النكبات، أو استولت عليه الهموم، أو تحكمت فيه الأمراض.

(٤)

وهذه الفروق وتلك الاختلافات لا تظهر واضحة جلية إلا بعد النمو والكبر، أما في عهد الطفولة الأولى فإن هذه الفروق تكون صغيرة غامضة؛ فالذكر والأنثى لا يكادان يختلفان عند الولادة، وبعد ذلك تأخذ فروق ما في الظهور؛ فأنثى إذا رأيت بنتاً صغيرة سنّها أربع لا تشك في أنها بنت صغيرة حقاً، وإذا رأيت طفلاً في هذه السن علمت أنه طفل صغير بلا ريب.

والبنت في العادة تسبق الطفل في القدرة على الكلام، وقد اتصاب باضطراب في أعضاء التكلم، ومعنى ذلك أن المراكز العصبية والخيوط العصبية الوصلية المرتبطة بالتكلم تنمو في الصبية قبل نموها في الصبي. ويلاحظ أن لعبها يختلف في النوع والأسلوب عن لعب الطفل سواء ألعبت وحدها أم مع غيرها، فلعبها ينقصه النشاط في الحركة وسعة النطاق التي تلاحظ في لعب الطفل. وهي تصل إلى مرتبة اللعب التقليدي قبل الطفل، وتبقى في هذه المرحلة أكثر مما يبقى. ومن المشاهد أنها تولع حتى في عهد الطفولة الأولى باللعب بالدمى ومعاملتها معاملة الأطفال

فتلبسها ملابسها ، وتحملها إلى مرآقتها ، وتحاول إطعامها كما أنها تحنو على الحيوانات الداجنة وتطعمها كلها سنحت لها الفرصة ، أي أنها تحاكي أمها في أداء وظيفتها كأن طبيعتها تملي عليها أنها ستصير يوما ما من الأمهات . والبنات تفوق الطفل في إظهار شعورها بوحدة ، فهي تضحك وتبكي بصوت مرتفع ، وتظهر تأثرها ببيئتها بسرعة وشدة ، ولكنها تميل إلى الانزواء والمقاومة السلبية إذا أغضبها أحد ، في حين أن الطفل يحتد ويقاوم مقاومة إيجابية عند الغضب .

والبنات لسن كالبنين عند حصول نزاع فيما بينهن ، فهن يشكون ويكيبن ويسين في حين أن البنين عند النزاع يتقاتلون ويتضاربون ويهاجم بعضهم بعضا مهاجمة فعلية كأن طبيعتهم تملي عليهم أنهم سيصيرون رجالا مسؤولين عن الدفاع عن أنفسهم وذويهم . والنزاع لا يحسم بين البنات حسما ، ولكن آثاره تبقى مدة طويلة وقد يسعى بعضهن في الكيد والدس لبعض ولكن البنين كثيرا ما يتصافحون ويتصافون بعد انتهاء التشاجر .

وفي الغالب يتلون التنافس بين البنات بألوان سيئة وأخلاق مكروهة كالحقد والكراهة وحمل الضغينة ولا سيما ضد من كانت منهن موضع التفات وعناية من بعض الأقارب أو الأصدقاء . هذه هي خلاصة الفروق الجنسية الجسمية والعقلية والخلقية العامة وموعدها في العدد الآتي إن شاء الله أن نبين بعض فروق تفصيلية خاصة بالحياة المدرسية ، ونتكلم عن نتيجة هذا البحث من الوجهة التعليمية .

« له بقية »

الغريزة

أمثلة من الغرائز

بقلم

الدكتور على عبد الواحد وافي

أستاذ التربية وعلم النفس والاقتصاد السياسي بدار العلوم

وقسم التخصص بالأزهر

رأينا قبل الشروع في دراسة الغريزة أن نضع أمام القارئ أمثلة منها، حتى لا ندخل به في تفاصيل البحث إلا بعد أن تكون لديه فكرة مجملة عن موضوعه، وحتى تكون هذه الأمثلة دعامة لدراستنا وموثلاً نرجع إليه كلما دعت الحاجة إلى تحليل خاصة، أو استنباط تعريف، أو شرح نظرية، أو نقد رأي، أو بسط دليل، أو بيان وظيفة، أو رجوع فرع لأصله، أو إدخال جزئيات تحت أنواعها العامة.

ولذلك حرصنا على أن تكون هذه النماذج من الظواهر التي لم يكدر أحد يعارض في تسميتها غرائز وأن تكون متنوعة وممثلة لشتى المظاهر الغريزية في مملكة الحيوان ناطقة وأعجمه.

ولما كان غرضنا هنا مجرد سرد أمثلة تحاشينا الدخول في التفاصيل واكتفينا بوصف غاية في الإجمال لكل غريزة من الغرائز التي تتضمنها أمثلتنا.

١ - غريزة طلب الغذاء : وهي استعداد فطرى يدفع الحيوان صغيره وكبيره إلى طلب قوته . وتختلف مظاهر هذا الاستعداد فى أصناف الحيوانات بحسب اختلافها فى تكوينها الجسمى الظاهرى والباطنى وفى بيئتها الأقليمية والأسرية والاجتماعية وفى نوع الغذاء الصالح لها . - فمن الواضح أن الطرق التى تلجأ إليها آكلة اللحوم فى طلب قوتها غير ماتلجأ إليه آكلة النبات ، وماتسلكه الدواب عامة لهذه الغاية غير ماتسلكه الطيور وما يتبعه سكان الأرض والهواء غير ما يتبعه سكان المياه كما أنه من الواضح كذلك أن لصغار كل طائفة وسائل خاصة لطلب قوتها : فصغار الحيوانات الثديية تبحث عن أئداء أمهاتها بمجرد ولادتها وتندفع إلى امتصاصها ، وأفراخ العصافير وماشاكلها تحملها غريزتها هذه على فتح أفواهها لتلتقم ما يضعه فيها أحد أبويها من الغذاء ، وأفراخ الدجاج وفصيلتها تندفع بفطرتها إلى اتباع أمهاتها ملتقطة بنفسها ما ترشدها إليه هذه الأمهات من القوت ، على حين أن صغار معظم الحشرات والأسماك تستقل فى طلب غذائها استقلالاً تاماً عن أصولها وتبحث عنه بمجرد خروجها إلى الحياة بنفس الوسائل التى يتبعها كبارها وهلم جرا .

٢ - غريزة الخطر Instinct de danger : التى تسمى أحياناً بغريزة الخوف وأحياناً بغريزة الهرب والتى يقسمها بعضهم إلى غريزتين يطلق على إحدهما غريزة الخوف أو الهرب وعلى الأخرى غريزة الغضب أو المقاتلة . - وهى استعداد فطرى يحمل الحيوان على أن يخشى طائفة خاصة من الحيوانات والأشياء التى من شأنها فى الحال أن تهدد حياته أو تصيبه بأذى أو كانت فى الأصل مصدر خطر له ويعمل على اتقاء شرها بوسائل فطرية تختلف فيها الحيوانات اختلافاً كبيراً ، منها مجرد العدو ، ومنها الفرار المنظم ، ومنها الصراخ والاستغاثة ، ومنها الاختفاء ، ومنها إخفاء

عضو من أعضاء الجسم (كالنعامه فإنها تكتفى أحيانا أمام الخطر بإخفاء رأسها في الرمل) . ومنها التخلص من عضو يترتب على التخلص منه نجاته الحيوان . [قد زودت عدة طوائف من الحيوانات باستعداد جسمي ليساعدها على التخلص من بعض أعضائها عند الخطر ، فلو قبض الصائد على رجل من أرجل « الكراب » (وهو حيوان بحري صغير) ترك الحيوان هذه الرجل بيد الصائد وفر هارباً] ومنها وقف الحركة وقفا تاما يحاكي به الخائف الأموات ، ومنها الدفاع بوخز العدو أو عضه أو خدشه بالمخالب أو رفسه أو نطحه أو لطمه أو عضه بالمنقار وضربه بالجنح . (ولا تبد وهذه الظاهرة عند كبار الطيور فحسب بل تظهر كذلك عند صغارها قبل أن تنمو أجنتها ويصبحها غالباً اتفاش الفرخ وعضبه) أو مهاجمته ومقاتلته . . . وهلم جرا .

٣ - الغريزة الجنسية : وهي ميل فطري يدفع كلا من ذكور الحيوانات وإناثها في مواسم معينة أو تحت تأثير حالات جسمية ونفسية خاصة الى الاتصال بالجنس الآخر اتصالا تناسليا ينجم عنه التلقيح ، وتختلف الوسائل الفطرية التي تلجأ اليها الحيوانات في هذه السيل باختلاف فصائلها .

فعند كثير من الحيوانات العليا تتم عملية التلقيح داخل الجسم باستخدام أعضاء خاصة لذلك على النحو المتبع عند الإنسان - وعند بعضها تتم عملية التلقيح داخل الجسم كذلك ولكن باستخدام أعضاء غير مقصورة على هذه الوظيفة . ففي فصيلة العناكب يستخدم الذكر أطرافه الأمامية في إيصال السائل المنوي إلى داخل جسم الأنثى مع احتفاظه بهذه الأطراف ؛ وفي فصيلة الأخطبوط يستخدم الذكر كذلك أحد أطرافه الأمامية غير أن هذا الطرف يفصل عن جسمه ويبقى

بجسم الأثى ويتم التلقيح بواسطة ما يحمله من السائل المنوى. — وقد تتم عملية التلقيح داخل الجسم بدون اتصال الذكر بالأثى اتصالاً مباشراً: ففي بعض الأصداف يلقي الذكر السائل المنوى في الماء فتحمله تيارات مائية إلى داخل جسم الأثى. — وعند كثير من الحيوانات المائية الدنيا يتم التلقيح خارج الجسم. ففي كثير من فصائل الأصداف يلقي الذكر سائله المنوى والأثى بويضاتها في الماء، فإذا اتفق مرور تيار مائي يحمل سائل الذكر على بويضات الأثى تم التلقيح؛ وفي الأسماك تتخذ كل من الذكور والإناث احتياطات فطرية لضمان التلقيح، فتغوص الأثى إلى قاع المجرى وتحفر فيه حفرة تضع فيها بيضها وتدفع الذكور وراءها بغريزتها متقاتلة متنافسة، فإذا ما فرغت الأثى من عملها قذفت الذكور بسائلها المنوى صوب الحفرة؛ وتبالغ الضفادع بغريزتها فيما تتخذه من الاحتياطات في هذه السيل، ففي موسم التلقيح تنتقل الأثى من مخبئها الشتوي إلى البرك فإذا ما صادفها ذكر لف أطرافه الأمامية حولها (ويلاحظ أن أطرافه الأمامية تنمو في هذا الموسم نمواً يسهل لها القيام بهذه العملية) وقبض عليها قبضاً عنيفاً وظل قابضاً عليها حتى تلقي بيضها في الماء فيصب عليه سائله المنوى، وقد يظل قابضاً عليها لهذه الغاية أياماً بل أسابيع.

٤ — غريزة الأبوة. وهي استعداد فطري عند كثير من الحيوانات يحمل كبارها على العطف على صغارها وعلى القيام بما يلزم لحياتها حتى تبلغ سناً معينة. وقد زود بهذه الغريزة الأب وحده في بعض الطوائف (كالنعام والتاليجال الذي سنتكلم عنه في الغريزة ٧)، والام وحدها في طوائف أخرى (كالانعام المستأنسة والدجاج والهر والكلب)، والأب والام معاً عند بعض الحيوانات الراقية والطيور (كالإنسان والأسد

والحمام) ، وغير الأب والام في بعض الفصائل [كالنحل ، فإن طوائف العمال هي وحيدها التي تقوم في الخلية بتربية الصغار مدفوعة إلى ذلك بميل غريزي . وطوائف العمال ، كما هو معلوم ، تتألف من إناث عقيمات . في حين أن الأم (اليعسوب) لا تقوم بشيء البتة حيال صغارها . والآباء (الذكور) تقتلها طوائف العمال بمجرد أن تلقح اليعسوب] . وتختلف مظاهر هذه الغريزة ، كما هو مشاهد ، باختلاف أصناف الحيوانات . وباختلاف تكوين صغارها وباختلاف الغرائز التي تولد هذه الصغار مزودة بها وبخاصة غريزة طلب الغذاء . فالوسائل التي تلجأ إليها بفطرتها الحيوانات الثديية للقيام بشؤون صغارها تختلف عن الوسائل التي تلجأ إليها الطيور ، وما تتبعه البقرة للوصول إلى هذه الغاية غير ما تتبعه الهرة ، وما يسلكه كبار الدجاج حيال تربية صغارها غير ما يسلكه كبار الحمام ... وهلم جرا .

٥ - غريزة تكوين الأعشاش . - وهي مشتركة بين جل أنواع الطيور مع اختلاف في مظاهرها بحسب اختلاف تكوينها وبيئتها وحاجة أفرانها . . . وما إلى ذلك . فمنها ما يقيم عشه على أطراف الأشجار ، ومنها ما يبنيه على قمم الجبال ، ومنها ما ينصبه على سطح الأرض ، ومنها ما يختار النوافذ وسقوف المنازل . . . كما أن منها ما يبنيه من القش ، ومنها ما يبنيه من الريش ، ومنها ما يبنيه من مواد أخرى : وتختلف كذلك الأعشاش في أشكالها باختلاف الطيور فمنها الكروى ومنها نصف الدائرى . . . وهلم جرا .

وهذه الغريزة متصلة اتصالاً وثيقاً بغريزة الأبوة السابقة .

٦ - غريزة حضانة البيض . - وهي ميل فطري يحمل الحيوان على احتضان بيضه بشكل يمدّه بالحرارة اللازمة لفقسه حتى تخرج منه أفرانها . وقد زود به كثير من فصائل الطيور . غير أنه يبدو في بعض

أنواعها لدى الأثني وحدها (كما في بغض انواع الدجاج المستأنس) وفي بعضها لدى الذكر وحده (كما في النعام : تجتمع طائفة من إناث النعام في مكان وتبيض كل منها بيضة فيه ، ثم تنتقل إلى مكان آخر وتبيض فيه بمجموعة كذلك ، وهكذا مدة يومين أو ثلاثة ، ثم تأتي الذكور فتوزع على هذه الأماكن وتقوم بحضانه ما فيها من البيض) ، وفي طائفة كبيرة منها لديهما معا (كالحمام والعصافير) . — وتوجد هذه الغريزة كذلك لدى فصيلة من الحيات تسمى « البيثون » .

وهذه الغريزة ، كالتى قبلها ، متصلة اتصالا وثيقا بغريزة الأبوة حتى إنهما ليعدان مظهرين من مظاهرها .

٧ - غريزة التفريخ الصناعى . — وقد زود بها بعض طيور أشهرها ما يسميه الفرنجة بالتاليجال Talégalle (وهو طائر يقطن أستراليا وغينا الجديدة قريب الشبه بما نسميه بالديك الرومى) . لا يحضن هذا الطائر بيضه بنفسه ، وإنما تعمد أنثاه ، قبل أن يحين موعد يبيضها بعدة أسابيع ، إلى مكان متسع فتجمع فيه كمية كبيرة من أوراق الشجر المتساقطة ومن الأعشاب اليابسة ، ولا يحل موعد يبيضها حتى يكون حجم ما جمعتها من هذه الأوراق والأعشاب قد بلغ عدة أمتار مكعبة ، ثم تضع فى وسط هذه الكومة يبيضها وتغادره تاركة للأوامل الطبيعية شأن تفريخه . فيتولد من تعرض هذه الأعشاب لأشعة الشمس درجة حرارة خاصة تحيط بالبيض وتكفل إنتاجه . وبعد فقسه يقوم الذكر وحده بتعهد الصغار . ولا يخفى ما لهذه الغريزة من الصلة بغريزة الأبوة .

٨ - غريزة وضع البيض فى أعشاش الغير (وهى إحدى الغرائز التى يسمونها بالغرائز الطفيلية) . — توجد هذه الغريزة عند طائفة من الطيور أشهرها ما يسميه الفرنجة « بالكوكو » Coucou الأورنى . — لا يبنى

هذا الطائر لنفسه عشا، ولا يحاول أن يحضن بيضة بنفسه ، وإنما تعتمد
 أنثاه إلى عش طائر آخر فتيض فيه بيضة وإلى عش آخر فتيض فيه بيضة
 أخرى وهكذا حتى تفرغ مافي عنقودها في أثناء يومين أو ثلاثة أيام ،
 وبذلك تصبح تكاليف حضانة بيضها وتربية صغارها ملقاة على كاهل
 الطيور التي باضت في أعشاشها . — ولهذه الغريزة الغريبة — كما ستكلم عن
 ذلك بتفصيل في المقالات التالية إن شاء الله — فوائد حيوية كثيرة ،
 منها أنها تمكن أنثى الكوكو من مغادرة الإقليم الذى باضت فيه كلما دعتها
 غريزة المهاجرة إلى مغادرته (انظر غريزة ١٢) فمن الواضح أنها لو حضنت
 بيضها وقامت بتربية صغارها بنفسها لوجب عليها المكث في الإقليم الذى
 باضت فيه مدة طويلة ، ولا سيما أنها لا تبيض كل بيضها في يوم واحد
 بل في أيام متعددة ، وذلك مما يطيل مدة الحضانة من جهة ويوجد في العش
 أفرانها مختلفة الأعمار فتطول مدة تربيتها من جهة أخرى . هذا إلى أن
 موضعها بيضة واحدة في كل عش أجنبى يضمن لكل فرخ من أفرانها
 غذاء أوفر من الغذاء الذى كان يمكنه الحصول عايه لو قامت هى بتربيته
 مع إخوته ، وبخاصة إذا لاحظنا أن فرخ الكوكو لا يكاد يخرج من
 بيضته حتى تظهر لديه بشكل مروع غريزة الاستئثار (انظر غريزة ١٩)
 التى تحمله على أن يبعد من العش كل ما يشاركه فيه من أفران الطائر الذى
 احتضنه ، فتراه يدفع هذه الأفران دفعاً عنيفاً بظهوره حتى يقذف بها خارج
 العش حيث تموت جوعاً ، وإذ ذاك يخلو له المكان ويستأثر بكل ما يحمله
 له الطائر الكبير من الغذاء .

٩ — غريزة الادخار : تبدو مظاهر هذا الاستعداد القطرى لدى
 الطفل الإنسانى في الثالثة من عمره ، فتراه في تلك السن مولعاً بجمع كل
 ما تصل إليه يده من صغير الهنات : قصاصات ورق ، طوابع بريد

مستعملة، تذاكره ترام، مسامير قديمة، قطع من الحصى والصدف والأحجار، والخشب، والفحم، ودفالين، حشرات ميتة، أنسجة مختلفة الألوان... وما إلى ذلك من الأشياء التي لا سعادة للطفل حيثئذ إلا في كبر حجمها وزيادة كميته. وتقوى هذه الغريزة لديه بين السادسة والثامنة، وتبلغ شأواً كبيراً بين العاشرة والرابعة عشرة، وتلازم الإنسان طول حياته مع اختلاف في نوع الأشياء التي يولع بجمعها بحسب اختلاف السن والمهنة والبيئة التي يعيش فيها.

هذا، ويشترك مع الإنسان في هذه الغريزة طائفة من الحيوانات نجتزئ بأن نذكر لك منها مايلي: —

١ — النمل: الذي يجمع في أحجاره في بعض فصول السنة ما يحتاج إليه من الغذاء في الفصول الأخرى.

ب — النحل: التي تدخر طوائف عمالها في أقراصها في أثناء الفصول التي تكثف فيها الأزهار (من الأزهار التي تغذي بها النحل يتكون إفرازها العسل والشمع) ما ستحتاج إليه الخلية من العسل لغذاء كبارها وصغارها في الفصول الأخرى.

ج — السنجاب: الذي يحفر في الأشجار عدة ثقب يمدخرفها في أثناء فصل الصيف ما سيحتاج إليه في فصل الشتاء من الغذاء (يتكون غذاؤه من الحبوب والفواكه اليابسة كالبندق واللوز...).

د — البجعة، التي تدخر بقربتها المتصلة بالشق الأسفل من منقارها ما عسى أن تحتاج إليه من السمك لغذائها وغذاء أفراسها.

هـ — الأكسيلوكوب Xylocope (وهي فصيلة من النحل تعيش أفرادها منفردة لا في جماعات) التي عندما تشعر أثنائها بدنو وضع بيضها تعتمد إلى خشبة يابسة فتحفر فيها ثقباً مستعرضاً واسعاً (وهذه العملية

ترجع إلى الغريزة الحادية عشرة) وتدخر في جزء منه كمية من الأزهار التي تتغذى منها صغار فضيلتها (وهذه العماية وحدها هي التي تهتمنا هنالاً أنها مظهر من مظاهر غريزة الادخار التي نحن بصدد الكلام فيها) وتضع على هذه الأزهار بيضة من بيضها، ثم تصب على الدقيق الذي أخرجته من الحشبة في أثناء ثقبها لها كمية من السائل الذي تفرزه وتولف منهما عجينة تبنى بها كرة رقيقة جوفاء تحيط بالبيضة وبما تحتها من الأزهار (وهذه العملية ترجع إلى الغريزة الثانية عشرة) وتكرر هذه العمليات نفسها مع كل بيضة من بيضاتها الثلاثة، ثم تغادر الثقب لا تلوى على شيء مما فيه، ولا تعيش بعد ذلك عادة إلا لحظات يسيرة. فإذا ما خرج صغارها من بيضها وجد كل منها في حجرته كمية من الأزهار الصالحة لغذائه يقات منها حتى يبلغ أشده فيثقب الكرة المحيطة به وينسل منها إلى حيث الكدح للحياة — هذا، ويرجع الفضل في تفصيل أعمال هذه الحشرة إلى الأستاذ

ميلن ادوارد Milne Edward .

و — بعض أنواع الذباب والثعالب والهرير... التي تدخر ما يزيد عن حاجتها من اللحوم بأن تحفر حفرة وتضع الزائد فيها ثم تغطيه بالتراب وتظهر هذه الغريزة لدى بعض أنواع الكلاب عند بلوغها سنًا معينة ولكنها لا تمكث لديها طويلاً .

ولا يخفى أن غريزة الادخار متصلة في جميع مظاهرها اتصالاً وثيقاً بغريزتي طلب الغذاء والأبوة (انظر ١، ٤) .

١٠ — غريزة تعطية البراز بالتراب : وتوجد لدى كثير من

الحيوانات المتوحشة ولدى بعض الحيوانات المستأنسة كالهرير .

ويظهر أن لهذه الغريزة اتصالاً وثيقاً بمظهر من مظاهر غريزة الادخار

وهو وضع الزائد من الطعام في حفرة وردمه بالتراب (انظر غريزة ٩)

رقم و) - وهذا المظهر الادخارى لا يزال باقيا كما هو عند كثير من الفصائل التى تحفر لبرازها وتغطيه ، وقد انقرض عند بعضها تحت تأثير أسباب خاصة وبقيت لديها من أنقاض الغريزة التى نحن بصدد الكلام عنها .

١١ - غريزة حفر الأجار : وقد زودت بها طائفة كبيرة من الحيوانات والحشرات . وتختلف مظاهرها لديها اختلافاً كبيراً ، فمنها ما يتخذ الأجار مساكن يأوى إليها ويضع فيها بيضه ويربى فيها صغاره ويدخر فيها ما زاد عن حاجته ، ومنها ما يتخذها لبعض هذه الأغراض ، ومنها ما لا يعتمد إلى حفرها إلا لغرض واحد منها كما أن الأجار تختلف فى أشكالها باختلاف الفصائل ، فمنها ما هو عمودى على سطح الأرض ومنها ما يمثل خطأ منكسراً أو منحنيًا ، ومنها ذو الباب الواحد ومنها ذو البابين أو الأبواب ، ومنها البسيط ومنها المؤلف من غرف منفصل بعضها عن بعض يستخدم الحيوان كل منها فى مرفق معين من مراقبه وتختلف كذلك فى الموضع الذى تحفر فيه : فمن الحيوانات ما يحفرها فى الأحجار ومنها ما يحفرها فى الرمل ومنها ما يحفرها فى الأرض الصلبة ومنها ما يحفرها فى الأشجار ومنها ما يحفرها فى الخشب الجاف وهلم جرا .

وهذه الغريزة متصلة فى كثير من مظاهرها بغرائز الغذاء والأبوة والادخار (انظر ١ ، ٤ ، ٩) .

١٣ - غريزة المعمار : وتوجد لدى طائفة من الحيوانات والحشرات تجتزى بأن نذكر لك منها مايلي :-

١ - النحل التى زودت طوائف عماله بغريزة معمارية تستطيع بفضلها أن تبني من الشمع الذى تفرزه أقراصاً مكونة بشكل هندسى دقيق يسمح

لها أن تدخر فيها أكبر كمية ممكنة من الشمع في بنائها (هذا، وللأقراص وظيفة أخرى ففيها تضع العسرب بيضها).

ب - الكاستور Les Castors كما يسميه الفرنجة أو كلب البحر كما تسميه العامة، وهو حيوان برى مائى من فصيلة القوارض يقطن أوربا وأمريكا وتعيش أفرادها جماعات، تحملها غريزتها التي نحن بصدد الكلام عنها على أن تسطو ليلا على بعض الأشجار الصغيرة في الغابات فتقرضها وتنقل أجزاءها إلى نهر أو نهير حيث تستخدمها في تقوية السدود التي تقيمها على مجراه والتي تبنى عليها بالطين لسكنائها عدة غرف ومنازل يتكون من مجموعها ما يشبه القرى الإنسانية. وكثيراً ما نجم عن عملها هذا تحويل المجرى الأصلي للنهر أو النهير المقامة فيه قراها كما حدث في كثير من نهيرات أمريكا.

وهذه الغريزة، كالتى قبلها، متصلة بغرائز الغذاء والأبوة والادخار (أنظر ١، ٤، ٩).

١٣ - غريزة الجراحة: وتوجد لدى طائفة من الحيوانات والحشرات منها أثى السفكس Le Cphex (نوع من فصيلة الزناير). وقد بلغت هذه الغريزة لديها شأواً عظيماً. تحفر هذه الحشرة فى الأرض الرملية شقاً تقيم على جوانبه عدة غرف منحوتة تضع فى كل غرفة منها بيضة (انظر غريزة ١١)، وحينئذ تبدو لديها مظاهر غريزة الجراحة التي نحن بصدد الكلام عنها، فتجلب إلى كل غرفة من غرفها حشرة حية من الحشرات التي تتغذى بها صغار فصيلتها (يلاحظ أن كبار السفكس لا تأكل إلا النباتات فى حين أن صغارها تعيش على لحوم الحشرات) وتجرى على هذه الحشرة عملية جراحية دقيقة تشل بها حركتها حتى لا تستطيع مغادرة

الغرفة التي وضعتها فيها ، دون أن تميّتها حتى لا تتعفن فتصبح غير صالحة للغذاء . فإذا ما ظهر صغارها وجد كل منها في غرفته حشرة حية صالحة لغذائه يقات منها حتى يبلغ أشده ويغادر شقه . — وتتلخص العملية الجراحية التي تجريها على الحشرة فيما يلي : تخز الحشرة بإيرتها تسع وخزات متتالية في مراكزها العصبية وتدق رأسها دقاً خفيفاً بين فكّيه . ومن الغريب أنه قد ثبت بالتجارب أن أقل من تسع وخزات لا يكفي لشلل الحشرة ومنعها من الفرار وأن أكثر منها يقضى على حياتها ، وثبت كذلك أن وخزها في غير المكان الذي تخزها فيه لا ينتج الغرض المقصود . — هذا ، ويرجع الفضل في ملاحظة هذه الغريزة إلى الأستاذ هنري فابر H. Fabre ولا يخفى ما لهذه الغريزة من الصلة بغريزتي الأبوة والادخار (انظر ٤، ٩) .

١٤ — غريزة الغزل والنسيج : وقد زودت بها عدة طوائف من الحشرات نذكر لك منها ما يلي : —

١ — دودة الحرير التي تحملها غريزتها هذه ، عند بلوغها اليوم العاشر من عمرها الخامس على أن تتسلق فرع شجرة وتأوى فيه إلى مكان مناسب فتأخذ في غزل خيوطها الحريريّة التي تخرج سائلة من غدتين بالقرب من فيها وتتجمد بعد ذلك بتعرضها للهواء ، ثم تشرع في جمعها ونسجها فتلفها على جسمها حتى تصير على شكل جوزة مجوفة إن تركت الحشرة فيها لم تلبث أن تتحول إلى فراش ذي أجنحة فتشقها وتطير منها .

ب — العنكبوت التي تفرز سائلاً صمغياً يتجمد بالهواء ويتحول إلى خيوط ثم تشرع في نسج هذه الخيوط والتأليف بينها بشكل خاص تستخدمه مسكناً وشركا تصيد به الحشرات التي يتكون منها غذاؤها . — وواضح ما لغريزة العنكبوت هذه من الاتصال الوثيق بغريزة طلب الغذاء .

« يتبع »

علوم الفلسفة

العرف الخلقى

بفلم

الدكتور على عبد الواحد وافي

الأستاذ بمدرسة دار العلوم العليا وأقسام التخصص بالأزهر

يتكون العرف الخلقى بمعناه العام من مجموعة القواعد التي يحتم اتباعها على الأمة تفسيرها للفضيلة والرذيلة . وتحول كل أمة في هذا التفسير المنحى الذي ترشدنا اليه قوانينها السماوية وحياتها الاقتصادية ونظمها الأسرية ودياناتها السياسية وقوانينها القضائية وبيئتها الجغرافية ^(١) . ولا شك أن العرف بهذا المعنى هو أهم مقياس عملي للخير والشر إن لم يكن المقياس العملي الفذ . فهو الذي تستعين به الأمم لتقدير أعمال أفرادها من الوجهة الخلقية . فيقدر مطابقتها له أو انحرافها عنه تكون خيراً أو شراً في نظرها . وهو الذي ترجع إليه كذلك لتحديد البواعث التي يجب أن يلبى المرء داعيها ، والمقاصد التي ينبغي أن يصب نحوها بمجوده حتى تتفق أعماله مع القواعد التي أقرتها نظمها الخلقية . وهو الذي يجرى عليه السواد الأعظم من الناس في أحكامهم الخلقية على أعمالهم وأعمال غيرهم .

ويختلف العرف الخلقى باختلاف العصور والأمم . فما تعدد أمة

(١) يطلق العرف بمعناه الخاص على ما تصطلح عليه الأمة من التقاليد التي لم تعرض لها قوانينها السماوية والوضعية .

فضيلة قد تعدده رذيلة أمة غيرها معاصرة لها، وما يراه شعب مباحا قد يراه شعب غيره محظوراً، وكثيراً ما يختلف الحكم من الوجهة الخلقية على الشيء الواحد عند أمة ما باختلاف عصورها.

فالرق مثلاً كان مباحاً عند جل أمم العصور القديمة وعند كثير من أمم القرون الوسطى وصدر العصور الحديثة^(١). وقد غلا بعض أمم العصور القديمة فاعتبر ضرب الرق على أفراد الشعوب المنحطة في نظرها أشبه شيء بالواجب الخلقى. ومن هؤلاء قدماء الإغريق الذين يقول فيلسوفهم أرسطوطا ليس مترجماً عن عرفهم: «إن الطبيعة قد خلقت شعوباً للسيادة (يقصد بها الشعوب الإغريقية) وأخرى للرق (يقصد بها شعوب آسيا)». وقد ميزت هذين الصنفين بصفات نفسية، فمنحت الصنف الأول التفكير والإرادة، ولم تحب الصنف الثانى إلا بالجسم والعاطفة. وما الحرب إلا وسيلة أرشدت إليها الطبيعة العالم المتمدين (الإغريق) ليتمكن بواسطتها من استعباد الشعوب المتبربرة ووردها إلى الحالة التى خلقت لها. فالحرب نظام بررته قوانين الطبيعة وقواعد الخلق الصحيح... — وبيننا العبريون والإغريق والرومان كانوا يبيعون ضرب الرق على الأسير ومن فى حكمه كمن اختطفه قرصان البحر. وعلى مرتكبى بعض المحظورات المدنية كعدم الوفاء بالدين أو الجناية كبيع أنواع السرقة والزنا والقتل والحياة الحربية ويحولون للأب حق بيع أولاده وللحر حق بيع نفسه، إذ نرى الشريعة الإسلامية تحظر ضرب الرق على

(١) ظل نظام الرق سائداً فى المستعمرات الأوروبية بأمريكا وفى بعض ممالك افريقية وآسيا حتى أواخر القرن التاسع عشر. — ولا يزال متبعاً الآن فى ليبيريا والحشة بالرغم من محاربة حكوماتهما له. وفى جزيرة العرب وعند بعض قبائل السودان.

غير أسرى الحرب ، والتقاليد الخلقية للأمم العصور الحديثة تحظر عليها أن تسترق غير سود افريقية ، على حين أن نظام الرق على إطلاقه قد أصبح في نظر معظم الشعوب الحالية من الأمور المحرمة قانوناً ومن أشدها تعارضاً مع مبادئ الحرية والإخاء والمساواة التي تعتبر الأسس الجوهرية لحياتنا الخلقية .

والسرقة التي أجمعت كل شرائع أممنا الحالية على تحريمها أيّاً كان نوعها وأيّاً كان مرتكبها قد أوجبها بعض مشرعي مقدونيا وإسبرطة على الشبان لاعتقادهم أنها تدرّبهم على الأمور اللازمة للجندى من المهارة والخفة والخذعة . . . وما إلى ذلك . — وقطع الطريق الذي يعتبره ديننا الخفيف من أشد أنواع السرقة جرماً وأدعاها لزيادة العقوبة قد عده كثير من الأمم القديمة أخف وطئاً وأقل عقوبة من السرقة العادية ويعتبره كثير من الشعوب البدوية الحالية مهنة شريفة لا غبار عليها من الوجهة الخلقية .

وقتل النفس لا يعتبر جريمة قضائية وخلقياً في نظر كثير من الأمم القديمة وكثير من الشعوب غير المتمدينة الحالية إلا إن كان المقتول من قبيلة القاتل أو من أمته ، في حين أن العرف الخلقى لكل الأمم المتمدينة الحالية يحظره على الإطلاق .

والبغاء الذي تعدّه نظمنا الخلقية من أكبر الموبقات كان معتبراً عند بعض الأمم ، كالآشوريين والبابليين والآثينيين وغيرهم ، زانقاً يتقرب بها النساء إلى الآلهة ، وواجباً وطنياً يتحتم على كل امرأة القيام به مدة معينة في حياتها وكانت الآشوريات والبابليات والرققات بأثينا وروما ترتكبه في الهياكل الدينية نفسها ، ويقفن ما يأتين من الدخّل (الذي كان معظمه من الأجانب) لأعمال الخير وبخاصة لتزيين المعابد وتشيدّها

والإتفاق عليها ، ولذلك اشتهر هذا البناء في تاريخ المدنيات باسم البناء المقدس^(١)

وعمل قوم لوط الذي تعده شرائع الأمم الحالية ونظمها الخلقية من أمهات الجرائم كان مباحا عند بعض الأمم القديمة إباحة مطلقة أو مقيدة ببعض شروط . — فاجاء بالقرآن الكريم عن قوم لوط يدل بصريح اللفظ على أن النظم الخلقية لهذه الأمة ما كانت ترى أية غضاضة في هذه الفعلة الشنعاء وقد جرت عادة الأسرات الأرستقراطية الرومانية إذا بلغ أحد أبنائهم الحلم أن يمنحوه رقيقا أصغر منه سنا يستمتع به مدة معينة ، وكانوا يرون في هذا واجبا خلقيا يتحتم على الآباء أن يقوموا به نحو تربية أبنائهم^(٢).

وتقديم صاحب المنزل زوجه إلى ضيفه يستمتع بها مدة إقامته لديه أو ليلة من ليالى قراه كان نظاما اجتماعيا خلقيا متبعا عند بعض الأمم السامية القديمة وغيرها . وواضح أن أمراً كهذا تعتبر نظمنا الخلقية فاعله مجرداً من الدين والشرف والغيرة وأحط منزلة من الحيوان الأعجم . وزواج الأخ بأخته المحرم في كل الشرائع الحالية لم تكن فيه أية مخالفة للنظم الدينية والخلقية عند قدماء المصريين وغيرهم . وزواج المرأة بأكثر من رجل واحد ، مع إجماع الأمم الحالية على تحريمه ، كان معمولاً به عند كثير من الشعوب ولا يزال متبعاً للآن في بعض المقاطعات الصينية .

(١) انظر تفصيل هذا الموضوع في مؤلفي :

Contribution à une Théorie Sociologique de l'Esclavage.

بصفحتي ٣١٤، ٣١٥ .

(٢) انظر تفصيل هذا الموضوع في مؤلفي الآنف الذ كر صفحة ٣٠٤ .

ورقص الرجل مع امرأة أجنبية عنه واحتضانه إياها أثناء رقصهما وهي عارية اليدين والصدر لا ترى فيه أمم أوروبا وأمريكا أية غضاضة من الوجهة الخلقية . تفعل ذلك المرأة على مرأى من زوجها والبنات على مرأى من أبها وأهلها فلا يثير عملها في نفوسهم إلا السرور والإعجاب ، مع أن عملاً كهذا تحرمه شريعتنا الغراء وتنبذه تقاليدنا وأخلاقنا . واعتداء الأب على حياة أولاده معتبر جريمة دينياً وقضائياً وخلقياً في نظر معظم الشعوب الحاضرة ؛ على حين أن إعدام الأولاد المشوهين والضعفاء كان عند قدماء اليونان واجباً أسرياً يتحتم على الآباء ونظماً اجتماعياً ارتضاه كثير من مشرعهم وبخاصة ليكورغوس ، وحشت عليه طائفة من فلاسفتهم منهم أفلاطون في كتابه «الجمهورية» وأرسطو طاليس ، في كتابه «السياسة» ؛ وعلى حين أن بعض قبائل العرب قبل الإسلام وبخاصة تميم وكندة وطى كانت تعد وأد البنات من المكرمات . والاتجار المعداد في نظر كثير من الأمم المتقدمة الحالية من أكبر الجرائم الدينية والخلقية كان يعتبره اليابانيون واجباً خلقياً يتحتم على الواحد منهم في حالات خاصة (عند ما يصاب في شرفه مثلاً أو يخفق في مشروع هام أو يحاول البرهنة على أنه مغبون الحق أو على أنه يرى من مهمة ألصقت به . . وما إلى ذلك) . وكانت طريقة الاتجار عندهم شق البطن التي يسمونها «هارا كيري» . — وقد ظل هذا النظام متبعاً لديهم حتى أوائل القرن العشرين ولا يزال له بقايا في عصرنا الحاضر وبخاصة في قراهم .

وإزهاق روح أى حيوان محرم عند بعض طوائف البوذيين . فقد روى الأستاذ «شاليه» أنه زار بعض المعابد البوذية بسيلان فوجد قسسه يقطرون مشروباتهم تقطيراً فنياً دقيقاً ليتأكدوا من خلوصها من

كل الكائنات الحية التي يخشون ارتكاب جريمة بابتلاعها معها . على حين أن أكل لحوم الأناس أنفسهم مباح عند كثير من زواج إفريقية وأمريكا وأستراليا . وقد ذكر الأستاذ « شاليه » في تقريره اللذين كتبهما عند زيارته للكنغو البلجيكية والكنغو الفرنسية « أن معظم شعوبها تبيع لأفرادها أكل لحم كل إنسان من غير قبيلتهم ، وأن قبائل الباهوين لا تبيع إلا لحوم أعدائهم الذين يقتلون بسيفهم في حرب مشروعة ، وأن التقاليد الخلقية لقبائل البتيلاس بالكنغو البلجيكية تحتم على الأبناء أكل لحوم آبائهم أحياء عند دنو آجالهم ، وأن قبائل البندوجو تكاد تبيع أكل لحم الإنسان بلا قيد ولا شرط . . . الخ » .

وقصارى القول : لا نكاد نعثر على نظام خلقى أقره العرف في جميع العصور وعند جميع الأمم . وهكذا تصدق عبارة « مونتاني » : « إن أقبح الرذائل في نظر أمة قد يكون واجباً في نظر غيرها ، ومحال أن نعثر على جرم خلقى لم تعده أمة ما فضيلة أو مباحاً » ؛ وعبارة « پاسكال » : « إن ثلاث درجات عرض لكافية في قلب حقائق الأمور الخلقية ، فما هو حق شمالى جبال البرانس قد يكون باطلاً جنوبياً » .

فاذا علمت هذا ، وعلمت أن علماء الأخلاق يحاولون وضع نظم خلقية وتشريع قوانين للسلوك يعتقدون صلاحيتها لكل زمان ومكان ، عرفت السبب الجوهرى الذى جعلهم يرون عدم صلاحية العرف لقياس الأخلاق ، والذى دعاهم إلى اختراع تلك « المقاييس النظرية » التى ربما أتاحت لنا فرصة الكلام عنها في عدد تال .

ولكن اعتداد الناس بهذا المقياس ، مع عدم صلاحيته في نظر علماء الأخلاق ، له بعض الفوائد . فقد منع الناس أن يصادموا العادات الصالحة . فكم من ممتنع عن الجرائم لا لشيء إلا جرياً مع العرف . ولقد

كان لهذا المقياس أيضا فائدة كبيرة في محاربة البدع والقضاء عليها ، فإن أكبر دافع إلى هذه المحاربة يرجع إلى مخالفتها لما ألفه الناس ولما ارتضته نظمهم الاجتماعية وتقاليدهم . — على أن بعض مشرعي الاسلام لم ير غضاضة في الاعتماد على العرف أحيانا وجعله أساسا للتشريع . ومن هؤلاء الامام مالك الذي يعتمد في تقرير كثير من مبادئه التشريعية على عمل أهل المدينة ، أى على عرفهم وتقاليدهم ، وقد اتفقت المذاهب الأربعة كلها على اعتبار الإجماع أصلا من أصول التشريع . وما الإجماع في الحقيقة إلا مظهر من مظاهر العرف المتبع في الأمم الإسلامية ، فإن مجتهدى هذه الأمم ، الذين يعد إجماعا ما اتفقت عليه آراؤهم ، قلما تتفق آراؤهم على غير الأمور التي يرتضيها عرف أممهم وتسلم بها تقاليدها الاجتماعية .

على عبد الواهر وفى

ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة باريس



الادب الانجليزية

عنى الادب الانجليزى

رسالة صمول جنسن^(١)

إلى لورد تشستر فيلد^(٢)

بقلم

مهدي علام أستاذ التربية بدار العلوم

تعريف بالرسالة:

تعد هذه الرسالة درة من درر الادب الانجليزى ، تتعاقب عليها الأيام فلا تزيد الناس إلا إعجاباً بها وحرصاً عليها . ولعل الأفضل ألا أطريها أكثر مما فعلت ، ولعل من الخير أن أتركها تتحدث اليكم عن نفسها لتصل إلى مواضع الإعجاب من قلوبكم ، ومواطن الإقناع من عقولكم . وحسبى أن ينالنى شرف نقلها إلى لغتنا الكريمة ، وحسب « صحيفة دار العلوم » أن تكون أول مطبوع عام ينشرها بالعربية الفصحى .

ولهذه الرسالة قصة نقصها ، إيضا حاليها ، وعونا على تذوقها :
نشأ صمول جنسن فقيراً معوزاً ، ولكنه كان أديباً فخلاً كاتباً كان

(١) Samuel Johnson (١٧٨٤ - ١٧٠٩)

(٢) Lood Chesterfield (١٧٧٣ - ١٦٩٤)

قوى التعبير ، حسن الديباجة ، متهكما لادعا في تهكمه ، وكان خطيباً مفوها ،
لبقا ، لم يصرع مرة في مساجلاته . وكان إلى ذلك واسع الإطلاع في
متن اللغة . وشرع الكاتب يؤلف «معجما» في اللغة الإنجليزية ، هو أول
معجم طموح في تلك اللغة .

وكان للعلم والأدب في ذلك العصر حماة وأولياء من أعيان البلاد
وأشرافها ، فكانوا يرعون بجاههم ويساعدون بما لهم ، الشعراء والكتاب
والمؤلفين ، على مثال ما كان في بعض عصور الأدب العربي .

وأراد جنسن أن يهدي معجمه إلى ولي من هؤلاء الأولياء ، هو
لورد تشيستر فيلد ؛ لينال بذلك عطفه ومؤازرته في إخراج الكتاب
ونشره . غير أن هذا الولي كان في عطفه على العلماء — على ما يظهر —
أقرب إلى الرياء منه إلى الأخذ بنصرة العلم والأدب ؛ ذلك إلى أن جنسن
لم يكن ، على علمه وأدبه ، من رجال المجتمع الراقى . فقد كان في أخلاقه
خشونة ، وفي حديثه جفاء واعتداد بالنفس ، وفي محاضراته صلف وكبرياء ،
وفي صوته عنجهية ، وفي ثيابه رثالة تنبؤ عنها مجالس الخاصة .

ولقد أعلن إهداء الكتاب إلى ذلك العظيم ففحه ببضعة جنينات ،
ولكنه — مع ذلك — لم يحسن استقباله في قصره وبين ضيفه . لأن ذلك
الشريف لم يشأ أن يرى طنافسه مبرقشة بونحل لندن ، ولا أن يرى حساءه
وخموره تتثر يمينا وشمالا ، على الحلل الفاخرة التي يرتديها ضيفانه من
رجال الطبقة الراقية وسيداتهما ، بيد ذلك الأديب المذهول المختبل ، الذي
كان مفزعا في حركاته . مقلقا بالأصوات الخشنة التي يطلقها من حنجرته ،
والذي كانت ثيابه تجعله شبيها بالمجذار .

ولقد ظل جنسن يزور وليه زما ، حتى صدف عنه الخدم ، وأعرضت
عن استقباله الدار ؛ فولى وجهه عن القصر المنيف ، ولكن إلى العمل
الشريف ، والاجهد العنيف .

وبعد سبعة أعوام قطعها جنسن في دأب واضطلاع ، أخرج للناس معجمه العظيم . وهنا أدرك تشستر فيلد شرف إهداء هذا العمل الجليل إليه ، وأراد أن يسترد حمداً كان قد أضاعه ، وأن يشتري لسان ثناء كان قد فرط فيه ، وأن يظل برعايته رأساً أصبح بعد احتمال وهج الشمس وهاطل المطر في غير حاجة إلى ظلة ؛ فكتب في مجلة « الدنيا » ^(١) مقالتين يقرظ فيهما معجم جنسن . فرد عليه المؤلف بالكتاب التالي :

٧ فبراير سنة ١٧٥٥

مولاي !

لقد أبلغني صاحب مجلة « الدنيا » منذ قريب أن المقاليتين اللتين نشرتا تقریظاً لمعجمي هما بقلم نخامتك . وإن في هذا لشرفاً يعجزني عن تقبله ، كما يقعدني عن شكره ، أتى لم أنعود قبول صنائع المعروف من العظماء . إنني حين زرت نخامتك - على إثر قليل من التشجيع - أسرني ما أسر سائر البشر من سحر بيانكم ، ولم أستطع إذ ذاك أن أفطم نفسي عن الأمل في أن أفخر بأنني أصبحت لا يعصى لي الدهر أمراً ، وبأنتي قد أنال تلك الرعاية التي رأيت الدنيا تقتل في سبيل الحصول عليها . ولكنني ألفت زيارتي لا تقابل إلا بترحاب الزاهدين فيها ، فلا الكرامة ولا التواضع كانا يسمحان إذن باستمرارها . إني حين خاطبت نخامتك ذات مرة على مسمع من الجمهور ، قد استفدت كل ما يعرفه من أدب الخطاب أستاذ معتكف غير خبير بأداب العظماء ، ولكن ليس في الدنيا من يرضى بأن يكافأ على جهده بالتغاضي ، مهما يكن ذلك الجهد ضئيلاً .

سبعة أعوام ، يا مولاي ، قد تلت منذ اليوم الذي كنت أنتظر فيه

في دهليز داركم، أو أنجى فيه عن عباتكم، وأنا في خلال ذلك الزمن أدفع بعملى فوق أشواك الصعوبات التى لا أرى فائدة في الشكوى منها. وهأنذا قد وصلت آخر الأمر بكتابى إلى حافة النشر، من غير يد مساعده، ولا ثلثة تشجيع، ولا ابتسامه صنيع. ألا إنى لم أترقب مثل تلك المعاملة لأنى لم أستظل في حياتى برعاية ولى.

لقد قدر آخر الأمر لراعى الغم، في ثرجل، أن يعرف الحب، ووجده من سكان الصخور^(١).

أليس ولى العمة، يامولاي، هو ذلك الذى ينظر بغير اكتراث إلى رجل يصرع المياه طلباً للنجاة من الغرق، فاذا ماشارف الشاطئ، عاقه بتقديم يد المساعدة إليه؟ إن هذه الرعاية التى تفضلت بها على عملى لو كانت مبكرة لكانت طيبة، ولكنها قد تأخرت حتى أصبحت لاأبالها، ولا أستطيع أن أستمتع بها، قد تأخرت حتى أصبحت منعزلاً، ولا أستطيع أن أعلنها. قد تأخرت حتى أصبحت معروفاً، وفي غير حاجة إليها. وعسى ألا يكون من نكران الجميل ألا أعترف بيد لم ينلنى خيرها، أو ألا أعلن للناس أنى مدين لذى جاء بما أقدرتنى عناية الله على النهوض به وحدى. أما وقد وصلت بعملى إلى هذه المرحلة، غير مستمد عوناً من رعاة العلم وأوليائه إلا القليل القليل، فلن أياس من إتمامه بأقل مما نلت من عونهم — إن كان في الامكان عون أقل مما منحونى، فاتى قد استيقظت، منذ زمن طويل، من حلم الأمل الذى كنت به معتزلاً فخوراً.

مولاي

من خادمكم المطيع

صمبول جنسن

وبعد هذا أعلنت هذه الرسالة انتصار دولة الأدب على دولة المال،

(١) الإشارة هنا إلى حادثة في رواية لاتينية.

وحاجة ذوى الجاه إلى شرف العلم، وحقت صدق الحكمة العربية القائلة
 « فكم من راغب قد كان مرغوبا إليه، وطالب أصبح مطلوباً مألديه . »
 أما تهكمها فانه يتحدث عن نفسه : عفا نزيه ، ولكنه مر لاذع ، فيه
 عظمة وكبرياء ، ولكنه يحمل فيهما حق الجزاء .

ولقد اشتهرت عبارات هذا الكتاب بين كتاب الإنجليز حتى إن
 أعظمهم غير مدافع ، وأقدرهم بدون استثناء ، برترند شو ، قد اقتبس إحدى
 عبارات جنسن . ففي ليلة من ليالى نوفمبر سنة ١٩٢٦ كنا نستمع إليه في
 لندن يحاضرنا في « الدولية المثقفة » وكنا قد اطلعنا في الصحف في صيحة
 ذلك المساء ، على أن برترند شو قد منح جائزة نوبل ، وأنه ردها . فقبل أن
 يبدأ محاضراته طلبنا إليه أن يكلمنا عن سر رفضه جائزة نوبل ؛ فألقى كلمة
 بليغة قال فيها إنه يستمتع بشهرة أكثر مما تحمل صحته . وإنه يرى أن
 جائزة نوبل إنما شرعت لتشجيعا للعلماء والأدباء الناهضين ؛ أما هو فانه
 يرى نفسه قد جاوز هذا الحد ؛ وأن هذه الجائزة في طريقه الآن بمثابة
 الحبل الذى يعوقه وقد بلغ الشاطئ . ومهما كانت حاجته إلى هذه الجائزة
 حينما كان يصارع الحياة طلبا للنجاة ، فإنه لا يستطيع أن يقبلها الآن وقد

استوى على قدميه .

وشبه بهذا الكتاب في أسلوبه كتاب حفى ناصف بك إلى السيد
 توفيق البكرى حينما تغافل السيد عن حسن استقباله . ولو أتى كنت
 أكتب في غير « صحيفة دار العلوم » لاقتبست ذلك الكتاب أو فقرات
 منه ، أما وأنا أكتب لمن هم أعلم به منى خليك بي ألا أعتدى على مدى
 اطلاعهم ، وأن أكتفى بالإشارة إلى قطعة أدبية هي بعض مايجرى على
 ألسنتهم ؟

مهدي عزم

المكتبة العربية

التعريف بكتاب الحيوان للجاحظ

لحضرة الأستاذ محمود محمد مصطفى

خريج دار العلوم

وأستاذ الأدب العربي بكلية اللغة العربية بالازهر

للجاحظ وهو العالم الجليل والأديب البارع الذى له فى كل فن مجال وفى كل مقام مصال، كتب تربي على المائتين وله من بينها كتاب هو أدلها على فضله وأجمعها لمتنوع علمه. ذلك هو كتاب الحيوان وهو أكبر كتبه حجماً يقع فى سبعة أجزاء ويشتمل على نحو ألف صفحة من القطع الكبير وهو مطبوع بمصر قام بالانفاق عليه الحاج محمد الساسى المغربى التاجر بمصر وما جاء فى أوله مما يشبه التعريف به والدلالة على ما فيه قول الجاحظ « وهذا كتاب تستوى فيه رغبة الأمم وتشابه فيه رغبة العرب والعجم لأنه وإن كان عربياً أعرابياً ، وإسلامياً جماعياً ، فقد أخذ من طرف السياسة وجمع معرفة السماع ، وعلم التجربة ، وأشرك بين علم الكتاب والسنة ، وبين وجدان الحس وإحساس الغريزة . ويشتميه الفتيان كما يشتميه الشيوخ ويشتميه الفاتك كما يشتميه الناسك . ويشتميه اللاعب كما يشتميه المجد ذو الحزم ، ويشتميه الغفل كما يشتميه الأديب ، ويشتميه الغنى كما يشتميه الفطن »

بدأ الجاحظ كتابه بمقدمة استغرقت طالع خمسين صفحة ذكر فيها

بعضاً من مؤلفاته وأنجى بالوم على العائين لكتبه . ثم قسم العالم بما فيه من أجسام إلى جامد ونام . وجعل النامي النبات والحيوان . ثم ذكر أقسام البيان ثم استطرد إلى مدح الكتب فأطال في ذلك وأعاد وأبدى ، ثم تناول موضوع الخط ومقدار الحاجة إليه ، ثم خرج إلى الشعر قبل الإسلام ، ثم أعاد القول في شأن الكتب والترغيب في اصطناعها . ثم ذكر ما يعترى الإنسان عند الخشاء ثم سرد طرق خشاء البهائم ثم ذكر الخصى من بني آدم وأنه أطول عمراً من الفحل ، ثم تناول الموضوع من الناحية الشرعية ثم رجع إلى القول في محاسن الخصى ومساويه .

ولا تظن أنه حين تناول البحث العلبي في كتابه بذكر الخشاء كف عن الاستطراد !! فهذا مالا يتصور في الجاحظ . فهو غير معفيك من مثل يشرحه أو حكمة ينسبها إلى قائلها أو كلمة يرويها عن صاحبها أو آية يستدل بها على ما يقول . وقد يستطرد من ذكر آية إلى أقوال المفسرين في القرآن فيقول

« كان أبو إسحق يقول لا تسترسلوا إلى كثير من المفسرين وإن نصبوا أنفسهم للعامة وأجابوا في كل مسألة فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية وعلى غير أساس ، وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحب إليهم ، فكيف أثق بتفسيرهم وأسكن إلى صوابهم وقد قالوا في قوله تعالى « وأن المساجد لله ، ليست المساجد التي نصل في بابها بل هي الجباه والأيدي والأرجل وكل ما يقع على الأرض عند سجدتنا : وقالوا في قوله تعالى « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، إنه ليس يعني الجمال والنوق وإنما عني السحاب وقالوا في قوله تعالى « ويل للطففين ، الويل واد في جهنم ثم تعدوا يصفون ذلك الوادي . ومعنى الويل في كلام العرب معروف . وقالوا أخطأ من قرأ قوله تعالى (عينا فيها تسمى سلسيلا) فوصل بعض هذه

بعض هذه الكلمة ببعض وإنما هي سل سبيلا إليها يا محمد . فإن كان كما قالوا فإن معنى تسمى ؟ ! !

وقد قصر الجزأين الأول والثاني على الكلام عن الكلب والديك وعقد موازنات ومفاضلات بينهما فجعل للكلب صاحباً يحتاج له ويذكر محاسنه فيرد عليه صاحب الديك بمثل ما فعل وهكذا دواليك . ولعل ذلك الأسلوب كان متبعاً عندهم تختبر به قوة الحججة وشدة العارضة ، وبين ثبت كتبه تجد كتباً متناقضة فكتاب في « ذم النيد » وآخر في مدحه وكتاب في « ذم الكتاب » وغيره في مدحهم وسنورد عليك بعض هذا الجدل .

قال صاحب الديك وذكر الكلب فقال : من لؤمه أنه إذا أسمته أكلك وإن أجعته أنكرك ، ومن لؤمه اتباعه لمن أهانه ، وإلفه لمن أجاعه لأنه أجهل من أن يأنس بما يؤنس به وأشره . وأنهم وأحرص ، وأج من أن يذهب بمطعمه ما يذهب بمطامع السباع . ومن جهله أيضاً أنا لم نجده يحرس المحسنين إليه بنباحه وأربابه الذين ربوه ووأسوه إلا كراسته لمن عرفه ساعة واحدة بل لمن أذله وأجاعه وأعطشه بل ليس ذلك منه حراسة وإنما هو فيه من فضل البذاءة أو الفحش وشدة التحرش والتسرع وقد قال الشاعر :

إذا تخازرت وما بي من خزر ثم كمرت العين من غير غور
أبدا إذا بوذيت من كلب ذكر أسود فراع تعوى في الشجر
وإنما ذلك شكل من الجبن الذي يعترى نساء السفلة من الصخب ، والكلب جبان وفيه جرأة وقوم ، ولو كان شجاعاً وفيه بعض التهيّب كان أمثل . . .
وهو مع ذلك أسمع الخلق صوتاً وأحق الخلق يقظة ونوماً ، ينام النهار

كله على نفس الجادة وعلى مدق الخوافر ، وفي كل سوق وملقى طريق ،
وعلى سبيل الجمولة ، وقد سهر الليل كله بالصياح والصخب والنصب
والتعب والغىظ والغضب ، وبالمجى والذهاب ، فتركه النوم على حسب
حاجته إليه ، فإن وطئته دابة فأسوأ الخلق جزعا ، والألمة لوما ، وأكثرم
نباحا وعواء . فإن سلم ولم تطأه دابة ولا إنسان فليست تتم له السلامة
لأنه في كل حال متوقع للبلية ، ومتوقع للبلية في بلية . وقد كانت الطرق
الخالية له مُعرضة ، وأصول الحيطان له مباحة

وبعد فإن كل خلق فارق أخلاق الناس فإنه مذموم ، والناس ينامون
بالليل الذى جعله الله تعالى سكنا ، وينثرون بالنهار الذى جعله الله تعالى
للحاجات مسرعا

قال صاحب الكلب : لو شئنا أن نقول إن سهره خصلة ملوكية لقلنا ،
ولو كان خلاف ذلك ألد لكنت الملوك به أولى . وأما الذى أشرتم إليه
من النوم فى الطرق الخالية وعبتموه به من نومه على شوارع الطرق
والسكك العامرة ، وفى الأسواق الجامعة فكل امرئ أعلم ، ولولا أن الكلب
يعلم ما يلقى من الأحداث والسفهاء وصبيان الكتاب من رضى عظامه
بالواهم إذا وجدوه نائما فى طريق خال ، وليس بحضرتة رجال يهابون
ومشيخة يرحمون ويترجون السفهاء وأن ذلك لا يعذبه فى مجامع الأسواق
لقل خلافة عليك ، ولما رقد فى الأسواق ، وعلى أن هذا الخلق إنما يعترى
كلاب الحراس وهى التى فى الأسواق مأواها ومنازلها .

ثم يبدأ الجزء الثالث بذكر الحمام فيقول : باب ذكر الحمام وما أوعها
الله عز وجل من ضرور المعرفة ومن الخصال الحمودة لتعرف بذلك
حكمة الصانع وإتقانه وصنعة المدبر . وإن كنا قد أملناك بالجد . ثم
يستمر فى الاعتذار عن خلط جده بالهزل فيقول « على أنى قد عزمت

والله الموفق أنى أوشح هذا الكتاب وأفضل أبوابه بنوادر من ضروب الشعر وضروب الأحاديث ، ليخرج قارىء هذا الكتاب من باب إلى باب ، ومن شكل إلى شكل ، فإني رأيت الأسماع تمل الألحان المطربة ، والأصوات الحسنة ، والأوتار الفصيحة إذا طال ذلك عليها ، وما ذلك إلا في طريق الراحة التي إذا طالت أورثت الغفلة . وإن كانت الأوائل قد سارت في صغار الكتب هذه السيرة كان هذا التدبير لما طال وكثر أصلح ، وما غايته إلا أن تستفيدوا خيرا . وقال أبو الدرداء « إني لأجم نفسي ببعض الباطل كراهة أن أحمل عليها من الحق ما يملها » ثم يروى جملة فكاهات تضحك (كما يقول) كل ثكلان وإن تشدد ، وكل غضبان وإن أحرقه لهيب الغضب فيقول : حدثني المدائني قال تحول أبو عبد الله الكوفي اللحياني إلى الحرية فادعى أنه فقيه وظن أن ذلك يجوز لمكان لحيته وسمته ، وألقى على بابه البوارى ^(١) وجلس إليه الجيران فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الله : رجل أدخل إصبعه في أنفه فخرج عليها شيء من الدم فأى شيء يصنع ؟ قال يحتجم . قال الرجل قعدت طيبا أم فقيها ؟ !

وقال حدثني أبو الجهمجاه قال ادعى شيخ عندنا أنه من كندة قبل أن ينظر في شيء من نسب كندة فقلت له يوما وهو عندي ممن أنت يا فلان ؟ قال من كندة قلت من أيهم أنت ؟ قال : ليس هذا موضع الكلام عافاك الله .

وقال أخبرني محمد بن سليمان قال قال رجل من أهل الكوفة لرجل من أهل المدينة نحن أشد حبا لرسول الله منكم يا أهل المدينة ، قال المدني فما يبلغ من حبك لرسول الله قال وددت أنى وقته يوم أحد ولم يكن وقع عليه شيء مما حل به ، قال المدني أفعدك غير هذا قال وما يكون غير هذا

قال : وددت أنا أن أبا طالب كان آمن فسر به النبي وأنى كافر . وجعل يروى من مثل هذا ونحوه ثمانى صفحات ، ثم استطرده بقوله وسند كرم من نواذر الشعر جملة فإن نشطت لحفظها فإنيها من أشعار المذاكرة . واستمر يروى من الشعر وطالت الرواية حتى لقد عقد في هذا الاستطراد أبوالباب صدق الفطن وجودة الفرسة وباب المديح بالجمال وغيره ، ثم إنه بعد نحو خمسين ورقة عاد إلى موضوع الحمام . وأظنك أيها القارئ الكريم قد لمست جانب الاستطراد في تأليف الجاحظ . وليس معنى هذا أن الاستطراد قد اعتدى على الحقائق العلمية فإنه بعد هذا الاستطراد كتب في الحمام وحده أكثر من خمسين صفحة فوصف أنواعه ، وذكر طبائعه ، فلم يترك فيه قولا لقائل وفي هذا الكتاب يروى الجاحظ عن أرسطو ويسميه صاحب المنطق ، ولأرسطو كتاب في الحيوان نقله ابن الطريق وقد اطلع عليه الجاحظ وعرضه على فكره الثاقب وبصيرته النقادة ، فلم يكن يخضع لقول أرسطو ويخضع بكونه فيلسوف اليونان الأشهر ، بل قد ناقشه في عدة مواضع من الكتب زيف بها آراءه فقد روى رأيه في أن إناث العصافير أطول أعماراً من ذكورها التي لا تعيش إلا سنة واحدة . فقال « والذين زعموا أن البغل إنما طال عمره لقلة السفاد والعصفور إنما قصر عمره لكثرة السفاد وغلته ، لو قالوا بذلك على جهة الظن والتقريب لم يلد لهم أحد من العلماء ، والأمور المقربة غير الأمور الموجبة . فينبغي أن يعرفوا فضل ما بين الواجب والمقرب و فرق ما بين الدليل وشبه الدليل » ثم رد على من ادعى أن البلبل لا يستقر أبداً ، فقال « يزعمون أن البلبل لا يستقر أبداً وهذا غلط لأن البلبل إنما يعلق لأنه محصور في قفص ، والذين عاينوا البلابل والعصافير في غير أوكارها وغير محصورة في الأقفاص يعلمون فضل العصفور على البلبل في الحركة » وانظر إلى كلامه عن الحيات يهاجم المزاغم الكاذبة والخرافات

الهائلة في بعض أنواع الحيات قال « والأعراب تقول في الأمثلة قولاً عجيباً ،
تزعم أن الحية يقال لها الأصل لا تمر بشيء إلا احترق مع تهاويل كثيرة
وأحاديث شنيعة وتزعم الفرس أن الأجدهان أعظم من البعير ، وأنها لها
سبعة رؤوس وربما لقبت أناساً فتبتلع من جهة كل فم ورأس إنساناً ، وهو
من أحاديث الباعة والعجائز .

وقد زعم صاحب المنطق أنه قد ظهر حية لها رأسان فسألت أعرابياً
عن ذلك فزعم أن ذلك حق ، فقلت فمن أي جهة الرأسين تسعى ومن أيهما
تاكل فقال : أما السعى فلا سعى ولكنها تسعى إلى حاجتها بالتقلب كما
تقلب الصبيان على الرمل ، وأما الأكل فإنها تتغشى بضم وتغذى بضم ،
وأما العض فإنها تعض برأسها معاً . فإذا به أكذب البرية . والكتاب
وإن كان علياً كثير القول فإنه مع ذلك جميل العبارة بارع الوصف فيه
قطع كأنها قطع الرياض كسين زهرا ، منها وصفه للكتاب الذي جعله
في المقدمة الطويلة التي سبقت أبوابه ولولا الإطالة وشهرة هذه القطعة
لقلنا منها بعضاً ، ولكني سأقل قطعة لعلها خفيت في غضون الكتاب
فلم تشتهر شهرة تلك ، قال في باب « القول في الحيات » « اللهم جنبنا
التكاف وأعدنا من الخطل واحمنا من العجب بما يكون منا والثقة بما
عندنا ، واجعلنا من المحسنين . حدثنا أبو جعفر المكفوف النحوي
العنبري وأخوه روح الكاتب ورجال من بني العنبر ، أن عندهم في رمال
بلعبر حية تصيد العضاير وصغار الطير بأعجب صيد . زعموا أنها إذا
اتتصف النهار واشتد الحر في رمال بلعبر وامتنعت الأرض على الخافي
والمنتعل ومرض الجندب غمست هذه الحية ذنبها في الرمل ثم انتصبت
كأنها رمح مركز أو عود ثابت ، فيجئ الطائر الصغير أو الجرادة فإذا
رأى عوداً قائماً وكره الوقوع على الرمل لشدة حره وقع على رأس الحية

على أنها عود ، فاذا وقع على رأسها قبضت عليه ، فإن كان جرادة أو جُعلا أو بعض مالا يشبعها مثله ابتلعت وبقيت على انتصابها ، وإن كان الواقع على رأسها طائراً يشبعها مثله أكلته وانصرفت ، وإن ذلك دأبها مامنع الرمل جانبه في الصيف والقيظ في انتصاف النهار والهجرة . وذلك أن الطائر لا يشك أن الحية عود وأنه سيقوم له مقام الجذل للحرباء إلى أن يسكن الحر ووهج الرمل . وفي هذا الحديث من العجب أن تكون هذه الحية تهتدي لمثل هذه الحيلة ، وفيه جهل الطائر بفرق ما بين الحيوان والعود وفيه قلة اكتراث الحية بالرمل الذي عاد كالجر وصلاح أن يكون ملقاً وموضعا للخبزة ، ثم يشتمل ذلك الرمل على ثلث الحية ساعات من النهار والرمل على هذه الصفة ، فهذه أعجوبة من أعاجيب ما في الحيات والكتاب كله على هذا النمط نقل عن صاحب المنطق واستنباط من كلام العرب ، واعتماد على رواياتهم ، وملاحظة دقيقة ، واختبار ذاتي واستطراد إلى مثل ما عرفت ، فكل هذا جعل الكتاب موسوعة علمية أدبية عديمة النظير .



ديوان عبد المطلب

بقلم

مهدي علام

استاذ التربية بدار العلوم

مقدمة :

كان عبد المطلب رجلاً بدوياً بفطرته ، حضرياً ببيئته . وقد اعتورت به تلك البداوة وهذه الحضارة . وتنازعتاه زمناً ، كل منهما تريد أن تستأثر به لنفسها ، وتخضعه لسلطانها ؛ ولكن عبد المطلب في قوته وصلابته قد أخضعهما جميعاً لحياته ، فلام بينهما ملائمة ، وأخرج منهما مزيجاً ممتازاً به على سائر لداته : فكان البدوي الحضري في مأكله ومشربه ، وملبسه ، ومسكنه ، ومركبه ؛ ثم ظهر أثر ذلك كله في شعره . فكان بذلك مدرسة مستقلة في الأدب العربي - مستقلة عن الشعر العصري لأن صدى البادية يتردد في أنحاء شعره في الخيال والمعنى واللفظ ، ومستقلة عن الشعر العريق لأن صور المدنية في شيخوخة القرن التاسع عشر والثالث الأول من القرن العشرين قد انعكست على مرآة شعره ، وإن سترها في بعض الأحيان أسلوبه البدوي .

لقد أكل عبد المطلب متربحاً على سباط البادية ، كما جلس إلى مائدة المدينة ، فجعل من ذلك كله صورة بين هذه وتلك هي التي وصفها إذ يقول (ص ٩٢)

ولو ترى ، إذ ترى ، طعام العشاء تجرى به الجوارى

من كل رومية كعاب شفاقة الثوب والإزار
يمشين حول الخوان رهوا مشى المعنى من الإسار
قتلك في كفها حنيد على إناء من النضار
وتلك من خلفها بصحن عليه حوت من البهار
وتلك من خلفهن عجلي تحمل شيئا من الثمار
وكم وكم ثم من صنوف في العد جلت عن انحصار !
أليست هذه المائدة التي يصفها عبد المطلب مائدة بدوية تخطو متدة
نحو المدينة ؟ لم ينس عبد المطلب « الحنيد » ولكنه وضعه على إناء من
النضار ، وذكر الفاكمة - وهي للبدوى ترف يدل عليه اشتقاق لفظها -
ولكنه لم يسرف بل كان قانعا « بشيء من الثمار » . ثم هو يصف لنا جوارى
المائدة حتى ليكاد ينقلنا إلى فندق من فنادق لندن أو باريس .
ولقد كان عبد المطلب يتزيا بالثياب العربية ، وكان بها مشغوبا فخورا ،
وعليها محافظا حريصا ، ولكنه لم يعلق عينيه عن مستحدثات الحضارة في
ذلك الزى ، فقد ارتدى « الدثار » كما ارتدى « الجبة » ، على حين أن بعض
أشياخنا من لداته وزملائه ما برحوا يحافظون على جباهم وعباءاتهم حتى
اليوم ، فكان بذلك وقيا لمذهبه في الجمع بين القديم والجديد ، وكلنا يذكر
دثاره العريق الذي جمع فيه بين التفصيل الحديث ، والصوف البدوي
الذهبي اللون ، الذي يذكرنا بقول الشاعر البدوي :

حيكت على نيرين إذ تحاك تحبب الشواك ولا تشاك

وكأما عبر عبد المطلب عن حاله هذه في الحرص على القديم مع
اقتباس الجديد بقوله ينعي على أدياء الأدب إذ يدعون إلى أطراح القديم
(ص ٢١٩) :

مازوا الجديد من القديم ، وما دروا أن الجديد من القديم سليل

ما في القديم معابة إن لم يكن فيه عن الشنن السوى عدول
وذو الجديد إذا رأيت سبيله عوجا عن الحق المين تمل
وبقوله يتحدث عن اللغة الغريبة (ص ٢٢١)

من لم يحط بقديمها لم يعتقد علما بمجد الشرق ، وهو أثيل
وخذى المعاني في جمال جديدها ماشئت لا حرج ولا تخذيل
ولقد رأينا عبد المطلب في مسكنه يخضع كذلك لمذهبه في الجمع بين
القديم والجديد ، فقد سكن قلب القاهرة حقبة طويلة من الزمن ، ثم
انتقل إلى « مصر الجديدة » في أعوامه الأخيرة . ولعل من أول الدلائل
على عدم اندفاعه وراء الجديد ، وإبقائه على القديم أنه كان ، وهو يقيم في
تلك الضاحية الجميلة ، يحمل معه من القاهرة في سيارته كل يوم ما يحتاج إليه
من الماء ، لأن ماء « مصر الجديدة » لم يلق لديه قبولا : فكم مرة ركب
معه وأمانا صفائح الماء وزجاجاته استبدالها بالمزاد والقرب ، كما استبدل
في حملها بالابل السيارة ! تلك لعمرى صورة عجيبة حقا ، ولذنها صادقة
صدقا ، في تصوير عبد المطلب ونزعاته الشعرية .

ولم تكن تلك السيارة أولى مطاياه ، فقد كان عبد المطلب في مركبه
وفيا لنظريته ، فقد بدأ حياته يمتطى حماراً ، حماراً سعيداً .

لو أراد الإبل في بهم رسلا كان في أمة الخير نيا
فقد كان يركبه إلى دار العلوم ، وهناك في شارع المنيرة يربط الحمار
إلى شجرة من أشجار الشارع أمام المدرسة حتى ينتهي الشيخ من محاضراته
فيمتطيه ويقفل راجعا . بل إن عبد المطلب كان يركب العيس في ريف
مصر ، العيس التي لم ينسها ، أو كاد لا ينساها ، في قصيدة من قصائده .
ولكن الشيخ لم يغفل عن مطايا المدنية الحديثة ، ولم يغض من شأنها ، ولم
يفضل عليها الإبل ، بل أشاد بذكرها في شعره ، وركب متنها في حياته . فلقد

استبدل الشيخ بحماره سيارة ، سيارته الأولى التي أراد أن تكون قنطرة
 انتقالية من ذوات الحوافر الأربع ، إلى ذوات العجلات الأربع . وبذلك
 كان وفيما مرة أخرى لمذهبه في الجمع بين القديم والجديد ، فلم يظفر
 بالانتقال من ظهر حماره إلى مقعد ويثر في سيارة فخمة ، بل اتخذ تلك
 السيارة «الانتقالية» حقة جرب فيها الجديد حتى أنس به واقتنع بصلاحيته
 ثم هجرها إلى سيارة فخمة لازمها حتى يومه الأخير . ولقد ظهر ذلك كله
 في شعره . فوصف السيارة والقطار البخارى ، والطيارة والكهرباء الخ .
 استمع إليه حين يودع صديقه الأستاذ الشيخ عبد الرحمن قراعه في سنة
 ١٩٥٥ ، وهو زمن لم تكن السيارات فيه قد أزججتنا أبواقها حتى تفرض
 نفسها على خيالنا ، قال في صفحة ٢٩٥ :

ولم في بطون اليد نهج إلى العلا وفوق متون الناجيات أمانى !
 وما نغم الحادين إلا ماثل يغنى بها واعى العلا ومثانى
 على أنها عندى زواجر لوعة تحرض أشجاني على الثوران
 ثم استمع إليه يصف عيش الأغنياء (ص ٩١)

تلاّ الكهرباء فيه تلاّ الكُنس الجوارى
 كأنه ، والظلام ساج من حوله ، آية النهار
 ومركب كالنسيم يجرى على الثرى آمن العثار
 لا خيل تعدوبه ولكن حيث يادولة البخار

أو فاستمع إليه يصف جيش الدولة العثمانية وهو يهني السلطان عبد
 الحميد بعيد الدستور (ص ٩٤) :

حتى إذا طمع العدو ، وراه سكّات ليهما عن التزّار
 سبق البخار إليهما عن أمره سبق الشهاب للمارج من نار
 يطوى على عجل فياقى قبله بعدت على طيف الخيال السارى

«باء» البخار لقد علمنا أصبحت في شرعة التاريخ «فاء» فبخار
ولعل أجل وصف له في البخار قوله في وداع صديقه الشيخ عبد
القادر المغربي الطرابلسي عام إعلان الدستور التركي (ص ١٣٩) :
وقلنا تولاه الأسي ، كلها هفا بمسمعه ذكر البخار تفزعا
فياقاتل الله البخار ، كم اعتدى على شمل قوم جامع فقطعا
إذا ما شكنا قبل من العيش موجه شكوت قطار البرّ أدهم أسقعا
فمن سائر ينقض في اليد زائرا فتحسبه طيفا من الجن مفزعا
تراه ، إذا أرسلته في مفازة إلى قطعها ، من خاطر النفس أسرعا
وينقض في اليبداء يعلو بحاجه كما عصفت ريح من الغرب زعزعا
كأن نجوم الليل حال ادلاجه من الوحش سرب مقبل مدبر معا
وكما وصف عبد المطلب السيارة والقاطرة البخارية ، وصف كذلك
السفينة البخارية ، والطارئة والكهرباء . ففي القصيدة السابقة ، وعقب
الآيات التي رويتها يقول واصفا السفينة : —

وساحة يعنو لها البحر هية ويمسى سحاب الجو منها مروعا
كأن حفافها قوادم أريد بحيزومه نحو المجرة أتلعا
تطيح جبال الموج تحت لبائها كما طاح رضوى أو ثير تضدعا
وتلمو بمخضر العباب كما هلت سوام بمخضل من الروض أمرعا
تري في رغاء البحر في جنباتها فتى شيت منه الحوادث قنزععا
تميس بالهوج الرياح دعابة كما ماس غصن بالنسيم ترعرعا
ويقول في وصف الطائرة ، في استقباله الطائرين التركيين (ص ٩٥)

وقفت لك الدنيا فسيرى ميسرى الضياء من الأثير
يا أخت ساحة النجوم ، وبنت ساحة الضمير

أفانت وافدة البخا ر على الأجادل والتسور ؟

ثارت لتأخذ باسمه عهدا على ملك الطيور

ملك البخار على السما ك بصولة الملك القدير

.....

فالنجم في فرق يحو ل بجفن مرتاع حسير

والسحب من حذر البخا ر وبأسه حيرى المسير

.....

أهلا بعملية . اهلا ل ، على الكواكب والبدور

ومن أجل ما قاله صاحب الديوان في وصف الطائرة مطلعاه

في العلويتين العلوية الأولى (ص ٢٦٨) والعلوية الكاملة (ص ٢٣٠)

قال في الأولى :

أصغر الأرض وما فيها مقاما فاعتلى يضرب في السحب الخياما

حسد الطير على الجو فسرا عان ما حلق في الجو وحاما

يزجر الريح فتجرى تحته أنما ولى بها تلوى الزماما

ساجحا فوق ابنة النار على مسرح النجم جنوبا وشاما

فاذا شاء أسفت في الثرى وإذا شاء بها شق الغماما

أخوذيات إذا ما هزمت تملأ الأفق رغاء واهتراما

سفن في الجو إلا أنها في السرى تطويه كالطيف لماما

ليت شعرى أين يبغي بعد ما غلب النسر عليها والجماما

يا خليلي احملاني فوقها عني ألقى على السحب . الإماما

وقد حوم في مطلع علويته الكاملة حول هذه المعاني نفسها ، وبالألفاظ

عينها إذ يقول

أرى ابن الأرض أصغرها مقاما فهل جعل النجوم بها مراما ؟ الخ

أما بعد فهذا منهج عبد المطلب في شعره ، لو لم نزد عليه كلمة لكان تلخيصاً دقيقاً لمذهبه في الشعر ، وصورة واضحة لما أودعه ديوانه . غير أننا نرى لزماً علينا ، وإنصافاً للشيخ ، أن نلم إماماً موجزاً ببعض الأبواب التي طرقها الشاعر ، لنبدى فيها رأينا .

الأدب المستعار :

يصطدم قارىء هذا الديوان في أولى خطواته بنوع من الشعر أسميه « الأدب المستعار » وهو أن يقول الشاعر على لسان غيره شعراً في شأن من الشؤون التي لا يخفق لها قلبه ، ولا تستقر في يقينه . فثاني قصيدة يرويها لنا الديوان ، في الصفحة الثالثة ، يقول الشاعر في مقدمتها : « وفي سنة ١٩١٤ كان بين المرحوم اسماعيل أباطه باشا وبين ابن أخيه محمد بك سليمان أباطه جفاء ، فطلب إلى الباشا أن أعاتبه على لسانه فقلت . » وفي الصفحة الخامسة نرى قصيدة في استقبال عدلى يكن باشا عند عودته من إنجلترا بعد انقطاع مفاوضته سنة ١٩٢١ ولم يذكر لنا الشاعر أن هذه القصيدة من « الأدب المستعار » ولكننا نعلم أنه أريد عليها فخضع لداعي المجاملة أكثر مما خضع لواجب عقيدته . وفي ص ٦٢ يقول صاحب الديوان : « عتاب لبعض الرؤساء على لسان بعض الأصدقاء سنة ١٩٠١ » وفي ص ٨٦ يقول : « على لسان جضرة على الكيلاني بك ناظر مدرسة سوهاج الأميرية ، تهنئة الأستاذ الكبير الشيخ أبي الوفاء شرفاوى بحجه . » وقدومه سنة ١٩٠٠ ، وفي ص ٣١٤ يقول قصيدة « على لسان بعضهم ، استعطاف لسابا باشا مدير البريد » وفي ص ٣١٥ يقول : « كتبت تهنئة يمولودة اسمها عليه على لسان بعض الأصدقاء سنة ١٩٠١ » .

وأنا أريد أن أقف لدى هذا الضرب من الشعر وقفة قصيرة أعلل

فها نشأة هذا الأدب ، وأذكر فيها قيمته الفنية . إن هذا الشعر المستعار — أو على الأصح المعار — يدل ، إذ يظهر في أمة من الأمم على أمرين : أحدهما الأمية الشعرية ، أو فقدان الشعر من حيث هو قوة من قوى التعبير عن النفس ، وثانيهما رفعة الشعر وعلو شأنه في تلك الجماعة . فانتشار الأمية الشعرية في المجتمع يدعو إلى استعارة الألسنة الناطقة ، كما يدعو انتشار الأمية الخطية إلى استعارة الأقلام الكاتبة ، على مثال ما كنا نجده — وما لا يزال نجده — في الجواسق الصغيرة المقامة على الأطورة (الأرصفة) خارج المحاكم ، وفي الصيارف ، وطلبة العلم المخففين ، في قرى الريف . وشعور الناس بحاجتهم إلى التعبير الشعري عن أفكارهم — وأحياناً عن أفكار تخلق لهم — دليل على أن للشعر منزلة رفيعة يذنبهم ، ولولا ذلك ما كلفوا أنفسهم ذلة الاستعارة ، وسجلوا على أنفسهم العي والحصر . هذا هو في رأيي ، سبب حياة هذا « الأدب المستعار » الذي لا يعيش - عادة - إلا في مجتمع لم تطغ عليه المادية طغياناً ينسيه جمال التعبير الروحي في نغمات الشعر ، ولم يرتق مع ذلك في الحياة الأدبية رقياً يقدر أفرادها على ذلك التعبير كلاً عن نفسه ، ويغنيهم عن استعارة بعضهم السنة بعض . أما القيمة الفنية لهذا الشعر المستعار ، فتحتاج إلى قدر من التؤدة . فأننا أعلم أن النقاد الآن يسمون هذا الشعر زائفاً كاذباً . وما في هذا أريد أن أخالفهم ، أو بعبارة أدق : أنا أكاد لا أخالفهم في أنه شعر كاذب زائف . ولكن الذي أريد أن أكشف عنه هنا هو أن قدرنا من الصدق قد يظهر في ثنايا هذا الكذب ، وشيئاً من المعدن الكريم قد يلمع في وسط ذلك الزيف . فكثيراً ما يكون لدى الشاعر ما يسميه العلامة فرويد ، الرغبات المحتبسة ، في العقل الباطن فينهر فرصة القول في غرض من الأغراض المستعارة ليبر عن تلك الرغبات فيفكها من عقالها ، ويطلقها

من محبستها . وعند ذلك نقول إن الشاعر استطاع أن يتمم الحالة الجديدة ، كما يحدث للنمثلة أن ينسى شخصيته في الدور الذي يمثله . ففي أولى قصائد « الشعر المستعار » في ديوان عبد المطلب نسمعه يقول ، لا عن لسان من رغب إليه ، ولكن بلسانه هو ، ومن يقينه هو :

إن الكريم إذا ما احتاجه غضب لم يلوه عن طريق الحكمة الغضب
الله في الود والقربى ، فإن لها حقاً على الناس جاء تنابه الكتب
وفي ثانی القصیدتين ظهرت « الرغبات المحتبسة » بصورة أقوى ، فقد كان هوى عبد المطلب في ناحية ، والمرحوم عدلى يكن في ناحية أخرى ، وكان الخلاف بين عدلى وسعد إذ ذاك بالغاً أشده ، ولكننا مع ذلك نرى عبد المطلب قد غلبه عقله الباطن فقال :

قالوا : السلام ، فقام قائدنا يزجى إلى حلباته النجبا
ولرب سائحة إذا عرضت صدق الكذوب وجد من لعبا
فدعوه إذ برموا بصاحبه ظنوه يرضى ما أخوه أبى
ظنوا وزير النيل يخله لمع السياسة بين من خلبا
أما ثالثة القصائد « المستعارة » فتألفه الأثافي ، فهنا لم يكن للشاعر « رغبة محتبسة » تطلب الحرية ، ولذلك جاءت القصيدة غثة بالية . أى جمال ، في المعنى ، أو الخيال ، فيما يقول عبد المطلب ، في ذلك العتاب الزائف :

مولای عنى صدا وهو الخيب المفدى
ما كنت أحسب دهرنا لنا يغير عهدا
ولا يحول حالا ولا يدنس ودا

.....
مضت ليال أرتنا عيش المودة رغدا
بالصفو كانت رياضنا تفوح عطرأ وندا

حال الزمان فعادت لنا كواحل لدا
ولست أجد تعليقا على هذا ، النظم ، أبلغ مما قال عبد المطلب نفسه
منهكما (ص ٢٢٥)
إذا وازنوا بيتا على النظم صفقوا وما الشعر في مستفعل وفعول
أما القصيدتان الباقيتان من شعر عبد المطلب «المستعار» فاني أرى
من حرمة ذكره ألا أقتبس منهما شيئا .

الشعر الصادق

ولئن كان عبد المطلب قد تورط ، في أحيان قليلة ، (رأينا أنها لم
تتجاوز خمس قصائد) فأعار شعره ، لقد كان عبد المطلب الشاعر الصادق
والوفى الأمين . يبدو ذلك في كل شعره ، ويبدو بصفة خاصة في شعره
لاخوانه وفي وطنه . وخير نموذج أقدمه لشعره الصادق في الأخوة
ماقاله في الشوق لصديقه الأستاذ الشيخ عبد الرحمن قراعه ، وكانت بينهما
أصرة الصداقة طاهرة قوية ، وقد عبر عنها كل منهما بشعر جيد مليح .
ومن حضر حفل التأيين الذي أقيم لعبد المطلب يذكر أنه رأى شيخاً وقوراً
يرأس الحفل ، قد حنت السنون ظهره ، ولكنها لم تحن قلبه ، وهزت
الشيخوخة يديه ، ولكنها لم تزعزع إخلاصه . ذلك هو الشيخ قراعه
الذي كتب إليه عبد المطلب ، وقد نقل الشيخ من سواهج إلى أسران
(ص ١٢١) .

• أمر على الديار ديار ليلي ، فتسقى أدمعى حمراً غزاراً
وأذكر جيرة ظعنوا فاحنوا ، أقبل ذا الجدار وذا الجداراه
• وما حب الديار شغفن قلبي ، فيظنن لبها ذاك الأوارا
ولا لثم الطلول أسال دمعى ، ولكن حب من سكن الديارا

فأجابه الشيخ قراة :

أقضى الوقت أجمعه اذكراً
وأطفىء بالمدامع نار قلبي
لمن عنهم ترحلت اضطراباً
فتذكي أدمعي في القلب ناراً

لهنك أن عهدك عهد صدق
وأنت إن تمر بدار ليل
وأنت خير من حفظ الذمار
أحادي قد مررت بها مراراً
أمر بخاطري ، ومناي أني
« أقبل ذا الجدار وذا الجدار »
« وما حب الديار شغف قلبي »
فأسمع بالدموع لها ثاراً
« ولكن حب من سكن الديار »
وما همي الركون إلى الأمانى

ويستوقفني في قطعة الشيخ قراة بيته الذي يقول :

وأطفىء بالمدامع نار قلبي
فتذكي أدمعي في القلب ناراً

فقد عبر الشيخ عن أحدث نظرية في علم النفس عن نشأة الوجدان ، تلك هي نظرية « جنس - لنج » . فرأى الجمهور من علماء النفس على أن الوجدان ينشأ نفسياً ثم يبدى على أعضاء الجسم من بكاء ، أو ضحك ، أو احتقان للدم ، أو انتفاخ في الأوداج الخ ، ورأى كل من جنس ولنج ، على عكس ذلك ، هو أن الوجدان ينشأ في أعضاء الجسم ثم يتبعه الجيشان النفسى . وتعرف النظرية الأولى باسم « النظرية النفسية » والثانية باسم « النظرية العضوية » . وليس هنا موضع الإفاضة في أدلة كل من النظريتين ولكننى أرى الشيخ قد أضاف دليلاً إلى أدلة « النظرية العضوية » إذ يقول :

وأطفىء بالمدامع نار قلبي
فتذكي أدمعي في القلب ناراً

عبد المطلب الشاعر المصري

لقد عاش عبد المطلب في جزيرة العرب بلسانه دائماً، وبخياله في كثير من الأحيان، ولكنه عاش بقلبه في مصر لم يرحها في يوم من الأيام. أليس بعض ما قال فيها قصيدته الثائية (ص ٣٣) التي مطلعها:

مصر أمي، فداء أمي حياتي . سلمت أماناً من العاديات !

يارباج الحياة في مصر هي روحنا بطيب ريا الحياة .

ياسماء الحياة في مصر جودي أنفساً فوق نيلها صاديات .

ما لأم الأمصار حملها الدهر صنوف الآلام والموجعات ؟

وقد أنشد هذه القصيدة في حفلة لتربية الطفل حضرها فيمن حضر

خمسائة وألف سيدة، وأذكر أنني سمعته ليلئذ فما سمعت أرق منه لفظاً

ولا أجمل أسلوباً، ولا أخذ بمجامع القلوب . ولقد فاجأتنا يومئذ عذوبة

القصيدة وسهولتها ورقها، فكذلك نعتقد أن عبد المطلب، الشاعر البدوي،

لا يستطيع أن يقول مثلاً . ولكن كذلك كان عبد المطلب : عربي بدوي

إذا شاء، وشاعر حضري إذا أراد . وما أصدقه إذ يقول في الاحتفال

بالعيد « الخسفي » لدار العلوم (ص ٢٢٠)

دان القريض لنا، فأما روضه فجنى ، وأما صعبه فذلول

ولنا إذا شئنا جزالة جروول وإذا نرق فتوبةً وجميل

وما أكثر قصائده، وما أطولها، وما أبلغها، تلك التي حيا فيها ملك

البلاد، ودار النيابة، وزعماء الوطن، وتعنى فيها بمجد مصر القديم عامة،

وبعظمة « توت عنخ آمون » خلاصة ! استمع إليه حين يحيي ملك النيل

المعظم (ص ١٠) :

وإذا الوجوه المسفرات تدفقت بشراً على القسمات، فهو إهاب

اشكر من معان ، إلى جانب ثروته النخلة فهو في هذا كالعالم المؤلف
 إن لم يرد على آراء من سبقه وكان محسوباً مع العلماء وليس منهم . وان بعد المطالب
 معان وأخيلة بعضها جديد وبعضها نصف جديد ، وكلها حسن جميل .
 ولقد روينا بعضها فيما روينا ، ولكنني أضرب قطعة أو قطعتين ألا تذكر
 على سبيل التخصيص . فقد قال في رثاء المرحوم الشيخ علي يوسف ، وقد
 غاض النيل عامئذ ، فاتخذ من ذلك مادة لحسن التعليل إذ يقول (ص ٦٩) :
 حيت حياة الماجدين ، فإن تمت فإني في طي الضمائر مخلد .
 إذا جزعت «جرجاء» فما كل من بكت «علي» ولا كل امرئ فاد سيد .
 ألم تر أن النيل قاسم أهلها حداداً ، فواديها من التبت أجرد ؟
 فلولاً حداد النيل فيها لما ضفا على أرضها ثوب من المحل أسود .
 وله في رثاء المرحوم عاطف بركات باشا أبيات عيون ، فمن ذلك قوله :
 يتولون : أودى ربها غير مخف بنين على آثارها وبنات
 رويدكم ، إن الحجا يلد الحجا ولا عقم إلا في نهى وحصة
 وقد ينفد المسك الذكي معقياً سواطع من أرواحه عطرات
 ومن مات من أهل العلا خلع العلا على ملا من قومه وسراة
 ومن يقن في نشر المعارف يحى في أساتذة رباهم وهداة
 ومنذ الذي ربي كإبناء عاطف أئمة هدى ، أو عدول قضاة ؟
 ومن أقوى مطالعه قوله في رثاء المرحوم فتحى زغلول باشا (٣٠٦)
 أرى الشعر يدمى بالدموع المآقيا كفى حزناً أن تسمع الشعر باكيا !
 دعونا القوافي أن يكن تهانيا فجن على رغم الأمانى مرثيا .
 ومن العجيب أن له تصيدة في رثاء المرحوم سعد زغلول باشا تبلغ
 ستة ومائة بيت ، ولكن لم يرقى منها إلا بيت واحد — أو على الأصح
 شطر من بيت هو قوله (ص ٥٩) :
 أهيا بوا بالزمان فروعوه وأجفلت الحوادث حين صاحوا .